



جمعية البلاغ الثقافية

Al-Balagh Cultural Association

مختارات من سيرة وهدى الحبيب

محمد ﷺ
صلى الله عليه وسلم

إدريس أبيدمي أحمد

جمعية البلاغ الثقافية



مختارات من سيرة وهدى الحبيب صلى الله عليه وسلم

إدريس أبيدمي أحمد

لجنة التحرير
جمعية البلاغ الثقافية قطر





رقم الإيداع بدار الكتب القطرية: Legal Deposit No / 2022 / 964

الرقم الدولي (ردمك): ISBN 9789927152900

جمعية البلاغ الثقافية

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م



دار روزا للنشر



مقدمة

الحمد لله القويم بذاته، الفرد الصمد، الذي يجتبي إليه من يشاء من عباده فيختاره لهديه، ويصطفيه برسالته، وهو الهادي إلى الصراط القويم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، شفيعا ونصيرا، وهاديا ومرشدا إلى سبيل السلام، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هديهم وسار على دربهم إلى يوم الدين.

إن حياة النبي صلى الله عليه وسلم اشتملت على مشاهد وأحداث وصفحات مشرقة، تعبر عن سيرته العطرة، وسننه وأيامه المنيرة، ودروس تربوية نافعة، فإن حياته تمثل نبزاسا للسالكين، ومنازا للعابرين، وخلصا للحائرين التائهين، فقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بوجوب الاقتداء بهذا الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك على سبيل القطع والإلزام، لمكانة هذا النبي الكريم، وبوأه المنزلة الرفيعة ليكون القدوة الصالحة، والمثل الأعلى للبشرية جمعاء، وغاية الكمال في الخلق والهدي الظاهر والسمت الحسن، بل مقامه أدل على الله تعالى وتوحيده، نطق بذلك كله الكتاب العزيز، فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: 21).

وقد استعمل القرآن الكريم أبلغ عبارة في قوله تعالى: ﴿فِي رَسُولِ اللَّهِ﴾ لبيان حقيقة القدوة المطلوب اتباعه، مبالغة في الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، حيث إن حرف (في) للظرفية، ليكون موضع الاقتداء هنا عاما وشاملا لجميع ما يتعلق بذات الرسول صلى الله عليه وسلم دون حصره بحالة دون أخرى. وهذا يشمل الالتساء به في أقواله بامثال أوامره واجتناب ما ينهى عنه، والالتساء بأفعاله من الصبر والشجاعة والثبات.

وفي هذا الاتباع المأمور والسير على طريقة النبي صلى الله عليه وسلم تكتمل معاني الهداية. قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف: 158)، وقال عليه الصلاة والسلام: "خير الهدي هدي النبي صلى الله عليه وسلم".



وإذا كانت مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم عند الله بالحالة التي أشيرت إليه في القرآن الكريم، والافتداء بهديه واجب شرعي يترتب عليه الأجر والمثوبة في الدارين، ومخالفة هذا الأمر تترتب عليها عاقبة وخيمة، فالتعريف بحياة هذا النبي الكريم، والاحتفاء بسيرته، ودراسة هديه، أحد واجبات الدين، وكان بفضل الله تعالى على المسلمين أن الهدي النبوي يتجلى في كل شأن من شؤون حياته صلى الله عليه وسلم، وتوفرت في بيان تفاصيله كتب دراسية كثيرة.

وهذا الكتاب جمع بعض المقالات الخاصة بهدي النبي صلى الله عليه وسلم المنشورة في موقع إسلام أون لاين، التابع لجمعية البلاغ الثقافية قطر، واختار بعض المحطات المهمة من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم إسهاما في التعريف بالنبي صلى الله عليه وسلم وتنويعا لبعض الأجزاء من الهدي النبوي الشريف، وراعى الإيجاز دون الإخلال مع الإشارة إلى بعض العبر والدروس التي يستفيد منها القارئ الكريم خلال هذه الموضوعات المعروضة في الكتاب.

والله نسأل أن ينفع بهذا العمل ويجعله عملا خالصا لوجهه الكريم.

إدريس أبيدمي أحمد
باحث شرعي بموقع إسلام أون لاين





المبحث الأول

ولادة النبي ونسبه صلى الله عليه وسلم

ويشتمل على مجموعة من الموضوعات الآتية:

المطلب الأول: أم النبي صلى الله عليه وسلم بين فقد الزوج وحادث الفيل

المطلب الثاني: يوم ميلاد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم

المطلب الثالث: نسب الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم

المطلب الرابع: أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

المطلب الخامس: الاحتفال برسالة ومولد النبي صلى الله عليه وسلم



المطلب الأول: أم النبي صلى الله عليه وسلم بين فقد الزوج وحادث الفيل

اشتهر بين أهل التاريخ والسير أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جنينا في بطن أمه آمنة بنت وهب حين مات والده، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (6)﴾ (الأعلى)، وقد قيل: إن عبد الله بن عبد المطلب والد النبي صلى الله عليه وسلم مات في المدينة حين أرسله أبوه ليأتي به بتمر يبتاعونه، وقيل: بل أرسله إلى تجارة بالشام، لكنه مر على المدينة فمات فيها، وحين أرسل أبوه عبد المطلب أخاه الحارث إليه حين سمع بمرضه بالمدينة، فذهب أخوه الحارث إلى المدينة، فوجده قد توفي ودفن هناك.

فقد مكث عبد الله عند آمنة عشرة أيام بعد الزواج في بيته، ثم سافر، وقد أتى خبر وفاته بأقل من شهرين، مما يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جنينا في بطن أمه في شهرين.

وبعد علم آمنة بوفاة زوجها حزنت حزنا شديدا، ورفضت الخروج من بيت عبد الله، وحبست نفسها لا تريد رؤية أحد من البشر، وتكاد تكون قريش كلها حزينة على فقد فتاها المفدى.

وفي أثناء ذلك، جاء عبد المطلب بن عبد الله إلى زوجة ابنه يطلب منها أن تنتهي إلى الخروج للجبال مع نساء مكة، خشية أن يصيبهم أذى من أبرهة الملك الظالم الذي نزل أرض العرب ليهدم الكعبة قادمًا من الحبشة.

فزاد الحزن على آمنة، فهي تريد أن تلد ولدها في بيت أبيه، ولم يمنعها ما بها من الحزن أن تسأل عبد المطلب عما جرى بينه وبين أبرهة، فأخبرها أنه أرسل إليه حنطة الحميري ليخبر عبد المطلب أنه ما جاء للحرب، فإن أراد عبد المطلب حربا حاربه أبرهة، وإن أراد سلما، فليقابل أبرهة ليكلمه.

وأخبرها عبد المطلب أنه رد على رسول أبرهة أنه لا طاقة له بالحرب هو وعشيرته، فأخذه إلى أبرهة ليقابله، وهناك أحسن أبرهة استقباله، وأراد أن يجلسه على سرير





الملك، لكنه جلس على الأرض مع عبد المطلب، وأخبره أبرهة أنه إنما جاء ليقصد البيت، وأنه آمن هو وعشيرته وأهل مكة من بطش جنوده إن خلوا بينه وبين البيت.

ففاجأه عبد المطلب أنه ما جاءه ليكلمه عن البيت، وإنما يكلمه عن إبل أخذها جنود أبرهة. فتعجب أبرهة غضبا: وقال له: جئت تكلمني في إبل، ولا تكلمني في شأن البيت.. أجابه: أما الإبل فأنا ربها، وأما البيت فله رب يحميه... وعاد عبد المطلب بإبله. وقد عرض سيد هذيل ثلث تهامة على أبرهة مقابل رجوع أبرهة، لكنه أبى إلا هدم الكعبة.

ويبدو أن أبرهة غرر به، لما رأى من توافد العرب على الكعبة وما يجيبه أهلها مما يدفعه الحجيج، وهو دلالة على خطر المشورة، وتخير الإنسان مستشاريه، فقد كان أبرهة ملكا صاحب سلطان، لكن الطمع أغراه بما كانت فيه نهايته.

مناجاة عبد المطلب

وعاد عبد المطلب من عند أبرهة ذاهبا إلى بيت الله الحرام يلوذ برب البيت أن يحمي بيته من هذا الحاكم الظالم، وأنشد قائلا:

لَا هُمْ إِنْ الْعَبْدَ يَمُّ
نَعُ رَحْلَهُ فَاْمَنْعَ حَلَالُكَ
لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ
وَمَحَالُّهُمْ غَدَوًا مِحَالُكَ
إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَقَبْ
لَتَنَّا فَاْمَرُّمَا بَدَا لَكَ
يَا رَبِّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَ
يَا رَبِّ فَاْمَنْعَ مِنْهُمْ حِمَاكَ
إِنْ عَدُوَ الْبَيْتِ مِنْ عَادَاكَ
اَمْنَعُهُمْ أَنْ يَخْرِبُوا قِرَاكَ

فردت آمنة: يا رب لا أرجو لهم سواكا .

لكن هل يعقل أن عبد المطلب لم يفكر في قتال من جاء ليهدم البيت الحرام؟

والجواب: إن عبد المطلب كان رجلاً حكيماً، فسيد قومه ما يوردهم المهالك، فقد أدرك أن القتال لا يجدي نفعا وهم قبائل أمام هذا الجيش الضخم الذي يستخدم فيه الفيلة..

الأمر الآخر: ثقة عبد المطلب أن رب البيت سيحميه، وأنه ما قصد أحد البيت بسوء إلا أهلكه الله تعالى.

ومكثت آمنة في بيتها يشدوها الأمل في أن تلد وليدها في بيت أبيه، لكنها سلمت أمرها لله في الخروج للجبال، وجاء الصباح ولم يأتها أحد للخروج، ثم جاءها من يبشرها في ذلك اليوم بأن الله تعالى أهلك أبرهة وجيشه، وأنهم هلكوا في وادي محسر، وأن أبرهة ما قرب للكعبة، بل هلك بعيدا عنها، فكادت أن تطير فرحا، وخفف ذلك من آلامها وأحزانها، واطمأنت أن أمنيتها في ولادة ابنها في بيت أبيه تكاد تتحقق.

وطار أهل مكة نحو البيت الذي أنجاه الله من بطش أبرهة الظالم، وأخذوا يصلون لله عند البيت، ويحمدونه على حماية بيته، وأخذوا ينشدون:

تَنكَلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ إِنَّهَا

كَانَتْ قَدِيمًا لَا يُرَامُ حَرِيمُهَا

سائل أمير الجيش عنها ما رأى

ولسوف يُنبئ الجاهلين عليها

ستون ألفًا لم يُؤوبوا أرضهم

ولم يعيش بعد الإياب سقيمها



وإن كان البيت له مكانة عظيمة في نفوس العرب، لكنه بلا شك زادت مكانة البيت بعد هلاك أبرهة الحبشي وجيشه، وأن حكمة عبد المطلب جعلت العرب يثقون فيه أكثر، ويسلمون له بالريادة والقيادة، فالقائد الحكيم هو الذي يحمي أهله من الهلاك بحكمته، ويعرف متى يكون الحرب ومتى يكون السلام.

وصلت آمنة لرب البيت شكرا على ما رزقهم من نعمة الأمن، ولعظيم هذا الحدث فقد خله الله تعالى في سورتين ، هما: سورة الفيل، وسورة قريش، فكانت السورة الأولى بمثابة سجل تاريخي يحفظ الحدث، وكانت السورة الثانية بمثابة العبرة التي يجب على العرب أن يعوها من حفظ الله تعالى لهم بالإطعام والأمن، وهما أشد ما يحتاجهما الناس، فإن أمن الناس على أنفسهم، ووجدوا حاجاتهم الأساسية من الطعام والشراب، فهم في نعمة كبرى.

المطلب الثاني: يوم ميلاد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم

ولد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين بلا خلاف، والأكثر على أنه لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول. والمجمع عليه: أنه صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل⁽¹⁾، وكانت ولادته في دار أبي طالب، بشعب بني هاشم.

قال أحمد شوقي رحمه الله في مولد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم :

وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءُ
وَقَمُ الزَّمَانُ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءُ
الرَّوْحُ، وَالْمَلَأُ الْمَلَائِكُ حَوْلَهُ
لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا بِهِ بَشَرَاءُ
وَالْعَرْشُ يَزْهُو وَالْحَظِيرَةُ تَزْدَهِي
وَالْمُنْتَهَى وَالسِّدْرَةُ الْعَصْمَاءُ

1- روى ابن إسحاق بإسناده عن قيس بن مخزومة بن عبد المطلب، قال: "ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل. كنا لِدَيْنٍ" قال الذهبي: أخرجه الترمذي، وإسناده حسن. «سير أعلام النبلاء - ط الرسالة» (سيرة 1/ 33)



بِكَ بَشَّرَ اللَّهُ السَّمَاءَ فُزِّيَتْ
 وَتَضَوَّعَتْ مِسْكَاً بِكَ الْغُبْرَاءُ
 يَوْمٌ يَتِيهِ عَلَى الزَّمَانِ صَبَاحُهُ
 وَمَسَاؤُهُ بِمُحَمَّدٍ وَضَاءُ
 ذُعِرَتْ عُرُوشُ الظَّالِمِينَ فُزُّنَزِلَتْ
 وَعَلَتْ عَلَى تِجَانِهِمْ أَصْدَاءُ
 وَالنَّارُ خَاوِيَةٌ الْجَوَانِبِ حَوْلَهُمْ
 خَمَدَتْ ذَوَائِبُهَا وَغَاضَ الْمَاءُ
 وَالْأَيُّ تَتَرَى، وَالْخَوَارِقُ جَمَّةٌ
 جَبْرِيلُ رَوَّاحٌ بِهَا غَدَاءُ

وقد قال الشاعر الأديب الليبي، الأستاذ محمد بشير المغربي، في ذكرى مولد
 الرسول صلى الله عليه وسلم عام 1947 م، في جريدة الوطن الصادرة في بنغازي: (2)

بَلَغَ الزَّمَانُ مِنَ الْحَيَاةِ عَتِيًّا
 لَكِنْ يَوْمًا لَا يَزَالُ فَتِيًّا
 يَمْشِي عَلَى الْأَحْقَابِ مَشْيَةَ فَاتِحٍ
 فِي مُوَكَّبٍ جَعَلَ السِّنِينَ مَطِيًّا
 تَخَذَتْ لَهُ الْأَعْوَامُ فِي أَيَّامِهَا
 عَرْشًا فَأَصْبَحَ تَاجَهَا الْأَبَدِيًّا
 وَمَضَتْ بِهِ الْأَجْيَالُ خُطُواتٍ مِنْ
 بَلَغَ الرِّشَادَ وَكَانَ قَبْلُ صَبِيًّا
 أَعْظَمَ بِيَوْمٍ جَاءَ يَحْمِلُ «رَحْمَةً»
 لِلْعَالَمِينَ» وَعِزَّةَ وَرُقِيًّا
 وَلِدَتْ بِهِ لِلْكَائِنَاتِ حَقِيقَةً
 أَضْحَى بِهَا سِرُّ الْحَيَاةِ جَلِيًّا
 وَأَنَارَ فِي الْأَوَّلَى الطَّرِيقَ إِلَى الْوَرَى
 لِيَسِيرَ لِلْآخِرَى الْأَنَامُ تَقِيًّا
 كَادَتْ بِهِ الدُّنْيَا تَقُولُ لِسَمْسِهَا
 عَنِّي فَقَدْ رَجَعَ الضِّيَاءُ إِلَيَّا

2- الصلابي، علي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (48) دار المعرفة، بيروت، الطبعة السابعة، 1429هـ/2008م.





طفولة النبي صلى الله عليه وسلم في روائع الصحراء

إن جود الأبوين في حياة الإنسان عامة وفي حياة الطفل خاصة نعمة كبيرة؛ وفي طيات تلك النعمة نعم فيها؛ ففي وجود الأبوين الدفء الاجتماعي، والحنان العاطفي، والرعاية، والتربية، والقيام بحق الطفل بحب وإخلاص وتجرد دون انتظار، فرحلة الوالدين مع أبنائهم هي رحلة العطاء بلا حدود، فكانت عاطفة الأبوة في الآباء، وعاطفة الأمومة في الأمهات عاطفةً فطرية وليست كسبية.

ولا يظن ظان أن عطاء الوالدين لا يقابله عطاء من الأطفال، فلولاً الأطفال ما كان الأب أباً، ولا الأم أماً، فالأبناء منحوننا مثلما نمنحهم.

وإن كانت رعاية الوالدين غاية في الأهمية، فإن الله تعالى قد يحرم البعض من تلك الرعاية فينشأ يتيماً، لكن رعاية الله تعالى - بلا شك - أفضل من رعاية البشر، وقد قال الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام: ﴿وَلِئْصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه: 39)، ويبدو أن موسى -عليه السلام- نشأ يتيماً، فظاهر القرآن لم يذكر والده، بل ذكر أمه، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ (القصص: 7).

وكذلك نشأ رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم يتيماً، فقد مات أبوه وهو لا يزال جنيناً في بطن أمه، وهي مازالت شابة في ريعان شبابها، فنشأ محمد صلى الله عليه وسلم في بيت أبيه، وعاش مع أمه، وقد حرم نعمة الوالد؛ ليكون في رعاية رب العالمين؛ ليصنع على عين الله تعالى لا على عين أبيه.

ولم تحفل لنا كتب السيرة عن الأحداث التي عاشها النبي صلى الله عليه وسلم مع أمه حتى ماتت وهو لا يزال صغيراً لم يبلغ الحلم، إلا شذرات صغيرة، كتعلمه السباحة ولعبه أحياناً مع بعض الأطفال من سنه، وعلى هذا، فإن محمداً صلى الله عليه وسلم نشأ في طفولته الطبيعية، ولسنا بحاجة إلى أن نحفل سيرته بقصص غير واقعية، فقد نشأ بعيداً عن أمه وبيئته، كعادة أطفال قريش، حيث عاش مع حليلة السعدية من بني سعد، حيث الصحراء والمرعى، وكان يخرج مع أخيه من الرضاع؛ ليرعى معه الغنم، إلا أنه كان - صلى





الله عليه وسلم- طفلا مباركا، يدرك ذلك كل من كان حوله من الأسرة التي كان في رعايتها ..

وفي نشأة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم معالم ذات أهمية في نشأة الأطفال، حيث يراعى أن ينشأ الأطفال في بيئة صحية، بعيدة عن الأوبئة والأمراض، لأن ذلك له أثر في النشأة الصحية، وبنیان الطفل، بل ومستقبله الصحي.

كما يستحب أن ينشأ الأطفال في بيئة فصيحة، يجيد أهلها اللغة الأم في أرقى درجاتها، ذلك أن الحديث باللغة درجات متفاوتة، فمازال حتى الآن في بعض دول أوروبا مثلا يفتخرون بمن يتعلم اللغة الفرنسية القديمة، لأنها لغة أدبية راقية، بخلاف اللغة اليومية، والحديث باللغة الأدبية من المفاخر التي يشار إليها بالبنان.

على أن التربية في بيئة لغوية راقية له أثر كبير في تنشئة الأطفال، فاللغة هي وسيلة التواصل مع الآخرين، كما أنها وسيلة التعبير عن الاحتياجات، ومن جانب آخر، فإن اللغة دورا كبيرا في التربية على الذوق ورهافة الحس، وقد قال الشافعي: "ومن تعلم اللغة رق طبعه"، وهذا يعني أنه حين ننشئ أطفالنا في بيئة لغوية راقية، فإنهم لا يصابون بما يصاب به أطفالنا اليوم من الانفعالات والتشنجات وسوء الأخلاق، وإخراج ألفاظ نابية، بل حين ينشأ الطفل في بيئة لغوية؛ فإن ذلك له تأثير كبير جدا على سلوكه وطبعه وتعامله مع الناس، وما أحوجنا اليوم أن يخرج أبنائنا وقد تربوا على رقة الطبع وحسن السلوك وسلامة الصدر.

ورغم أن النبي صلى الله عليه وسلم حرم نعمة الوالد، والمعروف أن الأنبياء يتصفون بالكمال، فإن الله تعالى عوض النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، حيث جعل رعايته في والده، والعادة أن تربية الجد للولد أفضل من تربية والده له، فقد كان جده عبد المطلب يقربه من مجلسه، ويقعده في مكان لا يجلس فيه أعمامه، فلربما كان جده يفعل ذلك معه؛ تعويضا له عن فقد والده، خاصة أن والده كان أصغر أبناء جده، وهو شعور حزين، أن يفقد الولد ويبقى الحفيد ..





على أن عبد المطلب كان يرى في وجه حفيده علامات النبوغ والنجابة، ويتطلع أن يكون حفيده اليتيم سيدا في قومه، وقد حفظت أشعار عن عبد المطلب يقولها في حفيده محمد، وقد كان العلاقة حميمة بينه وبين حفيده، كيف لا، وهو الذي سماه محمدا، وهو اسم لم يكن مشتهرا بين العرب، بل لم يتسم به إلا نفر قليل ربما يعدون على أصابع اليد الواحدة، إلا أن السيادة الدينية التي كان يحظى بها عبد المطلب من رعاية الكعبة والبيت الحرام، كان يرجو أن تكون في حفيده، ولذا لما سئل عن تسميته محمدا، قال: أرجو أن يكون محمودا في السماء والأرض..

وإنه لشعور ما أكثر فقدنا له، أن نرجو لأبنائنا أن يكون قادة في الدين، فغالب الناس حتى المتدينين منهم لا يرجون لأبنائهم أن يسلكوا مسلكهم الدعوي والديني، بل الغالب يتطلع أن يكون لأبنائه مناصبا اجتماعيا ومهنيا يعلو شأنهم في الحياة الدنيا، وما أعظم دعاء نبي الله زكريا عليه السلام، فإنه ما ابتغى الولد لذات الولد، وهو الذي حرم منه سنوات، بل ابتغى أن يكون وليا يحمل هم الرسالة والدعوة من بعده، كما نص القرآن على ذلك بقوله: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (آل عمران: 38).

ويبدو أن هذا الأمر من سمات الصالحين، فنحن نجده في امرأة صالحة نشأت وعاشت في بيت صالح، وهي امرأة عمران، فقد نذرت جنينها الذي رزقت إياه بعد طول منع أن يكون خادما للمسجد الأقصى، ونص القرآن على ذلك الموقف الرائع من المرأة الصالحة، فقال: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (آل عمران: 35)، إنها تنذر ولدها لله تعالى، وتدعوه أن يتقبله منها، فهل نذر بعضنا أولاده لله تعالى؟!

إن التاريخ يعيد نفسه، وإن الأسر الصالحة تتسم بنفس السمات رغم تباعد الأزمان وحتى العقائد، فذاك عبد المطلب يأمل أن يكون حفيده صاحب شأن في الزعامة الدينية، كما رجا زكريا ربه أن يرزقه من يحمل النبوة والدعوة بعده..





ثم يفقد محمد صلى الله عليه وسلم في صباح جده الحنون، فيزداد حزنا على حزن، ليتعود تحمل المشاق والصعاب، وليكون قدوة في الصبر على الابتلاء منذ صغر، فقد حرم أباه الذي لم يره، ثم يفقد أمه وهو في السادسة من عمره، ثم يفقد جده وهو لا يزال فتى يافعا .

ومن تمام فضل الله عليه أن جده عبد المطلب قد اختار له عمه أبا طالب قبل موته، وأبو طالب وإن كان كثير العيال، لكنه شخص رؤوم، يظهر عليه حنان الأبوة، فلا شك أنه سيعوض ابن أخيه اليتيم، وإن كان محمد صلى الله عليه وسلم فقد أمه، فقد راعته فاطمة زوجة عمه، فنشأ في بيت عمه، وتعلم منذ ريعان شبابه التجارة، وخبر كثيرا من الحياة، وقد كان عمه أبو طالب حريصا أن ينشأ ابن أخيه اليتيم تنشئة الرجال، فكان يصحبه معه في التجارة، فعلمه مهاراتها، بل رشحه لسيدة عظيمة صاحبة جاه ومال في قريش، وهي السيدة خديجة، حتى يعمل ابن أخيه الشاب ويتكسب، حتى يتأهل لحياة جديدة، وكان عمه هو الذي اتفق مع خديجة على عمل ابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم معها، وزكاه عندها، بل حدد معها أجرة العمل قبل أن يعرف الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك، ثم كلمه في العمل مع خديجة لأنها ستعطيه أجرا أفضل ..

وبهذا، فقد قدم أبو طالب لابن أخيه الشاب خدمة جليلة من التربية والرعاية في سن صعبة، وعلمه من دروب الحياة والتجارة ما يجعله أهلا ليشق طريقه في الحياة باستقلال، بل هيا له وظيفة يتكسب بها ...

وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل للفتيان والشباب في التربية الجادة، واكتساب المهارات التي تجعل الفرد منتجا في مجتمعه، لا أن ينتظر إنفاق أبيه له وهو كبير السن، وإن كان التعليم ذا أهمية بالغة في حياة الإنسان، فإن كسب المهارات المهنية التي تؤهل الشاب أن يكون صاحب مال وصناعة فهي أبلغ أهمية، وإن هذا الفصل بين العمل والتعليم من الأمور التي تحتاج إلى مراجعة في حياتنا، فتأهيل الشباب لسوق العمل وكدهم وسعيهم لا يشترط أن يكون بعد التخرج الجامعي، ولا يعني هذا تفريطهم في تعليمهم، ولا انشغالهم بالعمل والكسب عن التعليم، فقد يعمل أعمالا صغيرة، في أوقات





قليلة، أو يعمل بدون ارتباط بوقت معين، فيجمع بين الكسب والتعليم، حتى يتأهل للحياة الاجتماعية.

لقد كانت طفولة النبي صلى الله عليه وسلم وصباه وشبابه مثلاً يحتذى به، مثلاً في التربية والأخلاق، كما كان مثلاً في الجد والاجتهاد، وليعطي المثل للشباب أنهم مهما نشأوا في بيئات فقيرة، فذلك ليس بمانع أن يكون صاحب مجد، بل ربما كانت الظروف القاسية بيئة جيدة للتحدي وتحقيق الذات، وفي رسولنا صلى الله عليه وسلم قبل نبوته القدوة والمثل في ذلك.

المطلب الثالث: نسب الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم

إنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْرَفَ النَّاسِ نَسَباً، وَأَكْمَلَهُمْ خَلْقاً، وَخُلُقاً، وقد ورد في شرف نسبه صلى الله عليه وسلم أحاديث صحاح؛ منها: ما رواه مسلم: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشاً، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشِ بْنِ هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».(3)

أما نسبه صلى الله عليه وسلم فالنبي هو أبو القاسم، محمد بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان.(4)

يقول عروة بن الزبير: أنه قال: "ما وجدنا من يعرف وراء عدنان، ولا قحطان إلا تخرصاً". وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - بإجماع الناس، لكن

3- صحيح مسلم، كتاب الفضائل (2276)

4- أخرجه البخاري تعليقاً، كتاب مناقب الانصار، باب مبعث النبي صلى الله عليه وسلم (3851). ويشهد لذلك ما جاء في أقوال العلماء وهنا طرف منها: قال البغوي بعد ذكر النسب إلى عدنان: "ولا يصح حفظ النسب فوق عدنان". شرح السنة (193/13).

ويقول وقال ابن القيم بعد ذكر النسب إلى عدنان أيضاً: "إلى هنا معلوم الصحة، متفق عليه بين النسابين، ولا خلاف ألبتة، وما فوق عدنان مختلف فيه، ولا خلاف بينهم: أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام". زاد المعاد في هدي خير العباد (70/1).

جاء عن ابن سعد في طبقاته: "الأمر عندنا الإمساك عمّا وراء عدنان إلى إسماعيل". انظر: الطبقات الكبرى (48/1).



اختلفوا فيما بين عدنان وإسماعيل من الآباء. (5)

لقد كان - وما زال - شرف النسب له المكانة في النفوس؛ لأنّ ذا النسب الرفيع لا تُتكرَّر عليه الصُّدارة، نبوّة كانت، أو مُلكاً، وينكر ذلك على وضع النسب، فيأنف الكثير من الانضواء تحت لوائه، ولَمَّا كان محمّد صلى الله عليه وسلم يُعدُّ للنُّبوّة، هيّا الله تعالى له شرف النسب؛ ليكون مساعداً له على التفاف النَّاس حوله.

إنَّ معدن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم طيّبٌ، ونفيسٌ، فهو من نسل إسماعيل الذَّبَّيح، وإبراهيم خليل الله، واستجابةً لدعوة إبراهيم عليه السلام، وبشارةً أخيه عيسى عليه السلام، كما حدّث هو عن نفسه، فقال: «أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة أخى عيسى». (6)

وطيب المعدن والنسب الرفيع يرفع صاحبه عن سفاف الأمور، ويجعله يهتمُّ بعاليها، وفضائلها. والرُّسل، والدُّعاة يحرصون على تزكية أنسابهم، وطهر أصلابهم، ويعرفون عند النَّاس بذلك، فيحمدونهم، ويثقون بهم.

ومما سبق يتّضح لنا من نسبه الشريف دلالة واضحة على أنّ الله - سبحانه وتعالى - ميّز العرب على سائر النَّاس، وفضّل قريشاً على سائر القبائل الأخرى، ومقتضى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم محبة القوم الذين ظهر فيهم، والقبيلة التي ولد فيها، لا من حيث الأفراد والجنس؛ بل من حيث الحقيقة المجردة، ذلك؛ لأنّ الحقيقة العربيّة القرشيّة قد شرف كلُّ منها - ولا ريب - بانتساب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها، ولا ينافي ذلك ما يلحق من سوءٍ، بكلِّ مَنْ قد انحرف من العرب، أو القرشيّين عن صراط الله - عزّ وجلّ - وانحطّ عن مستوى الكرامة الإسلاميّة التي اختارها الله لعباده؛ لأنّ هذا الانحراف، أو الانحطاط من شأنه أن يُؤدّي بما كان من نسبةٍ بينه وبين الرّسول صلى الله عليه وسلم، ويلغيها من الاعتبار. (7)

5- تاريخ الإسلام (17/1).

6- أخرجه بهذا اللفظ الطبري في التاريخ (2070)، والحاكم 600/2، والبيهقي في دلائل النبوة (83/1)، وصححه محققو مسند الإمام أحمد (28/281).

7- البوطي، محمد، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة (45): دار الفكر - دمشق، الطبعة: الخامسة والعشرون - 1426 هـ.



كان عبد الله بن عبد المطلب من أحبِّ ولد أبيه إليه، ولمَّا نجا من الذِّبح، وفداه عبد المطلب بمئةٍ من الإبل، زوّجه من أشرف نساء مكة نسباً، وهي آمنة بنت وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب.

ولم يلبث أبوه أن توفّي بعد أن حملت به صلى الله عليه وسلم آمنة، ودُفن بالمدينة عند أخواله بني «عديّ بن النّجار»، فإنّه كان قد ذهب بتجارةٍ إلى الشّام، فأدرّكته منيته بالمدينة وهو راجعٌ، وترك هذه النّسمّة المباركة، وكأنّ القدر يقول له: قد انتهت مهمّتك في الحياة، وهذا الجنين الطّاهر يتولّى الله - عزّ وجلّ - بحكمته ورحمته تربيته، وتأديبه، وإعدادة؛ لإخراج البشريّة من الظّلمات إلى النّور. ولم يكن زواج عبد الله من آمنة هو بداية أمر النّبّي صلى الله عليه وسلم. قيل للنّبّي صلى الله عليه وسلم: ما أوّل بدء أمرك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمّي أنّه خرج منها نورٌ أضاءت منه قصورُ الشّام».(8)

ودعوة إبراهيم عليه السلام هي قوله: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: 129).

وبشرى عيسى عليه السلام كما أشار إليه قوله - عزّ وجلّ - حاكياً عن المسيح عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (الصف: 6).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «ورأت أمّي كأنّه خرج منها نورٌ أضاءت منه قصورُ الشّام». قال ابن رجب: «وخروجُ هذا النّور عند وضعه إشارةٌ إلى ما يجيء به من النّور؛ الذي اهتدى به أهل الأرض، وزالت به ظلمة الشّرك منها، كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16)﴾ (المائدة).

8- سبق تخريجه في الصفحة التي مضت.



وقال ابن كثير: «وتخصيص الشَّام بظهور نوره، إشارة إلى استقرار دينه، وثبوته ببلاد الشَّام، ولهذا تكون الشَّام في آخر الزَّمان معقلاً للإسلام، وأهله، وبها ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام بدمشق بالمنارة الشرقيّة البيضاء منها، ولهذا جاء في الصَّحاحين: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحقِّ، لا يضرُّهم مَنْ خذلهم، ولا مَنْ خالفهم، حتَّى يأتي أمر الله وهم كذلك». وفي صحيح البخاري: «وهم بالشَّام».⁽⁹⁾

المطلب الرابع: أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

كان النبي صلى الله عليه وسلم يمتاز بسمو خلق لا يحيط بوصفه البيان، وكان من أثره أن القلوب فاضت بإجلاله، وتفانى الرجال في حياطته وإكباره، بما لا تعرف الدنيا لرجل غيره، فالذين عاشروه أحبهوا إلى حد الهيام ولم يبالوا أن تندق أعناقهم ولا يخدش له ظفر، وما أحبهوا كذلك إلا لأن أنصبته قد فاضت بكم من الصفات الخلقية التي تعشق عادة ولم يرزق بمثلها بشر - وبين يديك ملخص الروايات في بيان بعض عظيم صفاته وأخلاقه مع اعتراف العجز عن الإحاطة.

بين القرآن الكريم عظيم خلق النبي صلى الله عليه وسلم في آيات كثيرة منها على سبيل الإشارة لا الإحاطة:

قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: 159).

وقال تعالى: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٌ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: 2 - 4). وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: 128). وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107).

9- أخرجه البخاري، كتاب المناقب (3641) ومسلم في الإمارة (1923).





ومن الأحاديث ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله أدع على المشركين، قال: «إني لم أُبعث لعناً، وإنما بعثت رحمة». رواه مسلم. (10)

وعن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة، فقال: «أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ وحرزاً للأمينين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يُقيم به الملة والعوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غُلفاً». رواه البخاري

وكان صلى الله عليه وسلم، إذا أتاه السائل، أو صاحب الحاجة قال: «اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء» رواه البخاري

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أحسن الناس خلقاً، فأرسلني يوماً لحاجة، فقلت: والله لا أذهب! وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به. قال: فخرجت حتى مر على صبيان وهم يلعبون في السوق فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قابض بقفاي من ورائي فنظرت إليه وهو يضحك فقال: يا أنيس اذهب حيث أمرتك. قلت: نعم! أنا أذهب يا رسول الله.

ويقول أنس: «والله لقد خدمته تسع سنين ما علمته قال لشيء صنعته: لم فعلت كذا وكذا، أو لشيء تركته: هلا فعلت كذا وكذا» رواه مسلم وفي رواية لأحمد: «ما قال لي فيها أف». (11)

10- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب (2599).

11- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل (2310).

تواضع النبي صلى الله عليه وسلم

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويحلب شاته، ويأكل مع العبد، ويجلس على الأرض، ولا يمنعه الحياء أن يحمل حاجته من السوق إلى أهله، ويصافح الغني والفقير، ولا ينزع يده من يد أحد حتى ينزعها هو، ويسلم على من استقبله من غني وفقير وكبير وصغير، ولا يحقر ما دعي إليه ولو إلى حشف التمر، وإذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جلسه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سألته حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، وقد وسع الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أبا، وصاروا عنده في الحق متقاربين. يتفاضلون عنده بالتقوى.

يروى البخاري في صحيحه من حديث الأسود قال: «سألت عائشة رضي الله عنها ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في أهله؟ قالت: كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة».(12)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إن كانت الأمة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتطلق به حيث شاءت». رواه البخاري.(13)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك.(14)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحابة عند موته: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم؛ فإنما أنا عبد الله ورسوله» رواه البخاري.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم.(15)

12 - صحيح البخاري، كتاب الجماعة والإمامة (644).

13 - صحيح البخاري، كتاب الأدب (5724).

14 - رواه أحمد والترمذي والبخاري في الأدب المفرد بأسانيد صحيحة.

15 - رواه النسائي وصححه الألباني.



وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم. (16)

صبر النبي صلى الله عليه وسلم

أمر الله تعالى بالصبر في كتابه العزيز: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (127) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (128)﴾ (النحل).

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ ضَرِبَهُ قَوْمُهُ فَأَدَمَوْهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . متفق عليه

وعن أبي سعيد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنهما أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم حتى نفذ ما عنده فقال لهم حين أنفق كل شيء بيده ما يكن من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر. متفق عليه

رفق النبي صلى الله عليه وسلم

المقصود بالرفق اللين الذي يضاد العنف والحدة، وإذا كان العنف يقع نتيجة الغضب والفظاظة، فإن الرفق نتيجة حسن الخلق والسلامة، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وحفظها على حد الاعتدال لذلك أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على الرفق، وبالعنف فيه فقال: «من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة». (17)

16- رواه الحاكم وصححه الألباني.

17- أخرجه الترمذي عن أبي الدرداء بإسناد صحيح. انظر صحيح الجامع.



أما عن رفق النبي صلى الله عليه وسلم فقد جاء ما يدل عليه من القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ﴿قَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِئْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: 159).

وروى أنس رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد وأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يصيحون به: مه مه (أي اترك)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزرفوه دعوه» (لا تقطعوا بوله)، فترك الصحابة الأعرابي يقضي بوله، ثم دعا الرسول عليه الصلاة والسلام الأعرابي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأعرابي: «إن المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن».

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين صبوا عليه دلو من الماء. فقال الأعرابي: اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "لقد تحجرت واسعا، أي ضيقت واسعا"» متفق عليه.

وفي قصة معاوية بن الحكم وقد عطس أمامه رجل في صلاته فشتمته معاوية وهو يصلي فقال: فحدقني القوم بأبصارهم. فقلت: واثكل أمياه ما لكم تنظرون إلي؟ قال: ف ضرب القوم بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يسكتونني سكت. فلما انصرف رسول الله دعاني، بأبي هو وأمي، ما ضربيني ولا كهرني ولا سبني، ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه. (18)

وعن أبي قتادة الحارث بن ربعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي لَأَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ، وَأُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَاسْمَعْ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَاتَجَوَّزْ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةً أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ» رواه البخاري

17- أخرجه الترمذي عن أبي الدرداء بإسناد صحيح. انظر صحيح الجامع.
18- أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (537)، وأبو داود في كتاب الصلاة (930)، وغيرهما واللفظ لأبي داود.



شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم

كان النبي صلى الله عليه وسلم من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذي لا يجهل، كان أشجع الناس، حضر المواقف الصعبة، وفر عنه الكمأة والأبطال غير مرة، وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر، ولا يتزحزح، وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواء.

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه -وهو من أبطال الأمة وشجعانها- قال: «إنا كنا إذا اشتد بنا البأس واحمرت الحديق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو» (19).

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس، وَلَقَدْ فَزَعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَاَنْطَلَقَ نَاسٌ قَبْلَ الصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاجِعًا وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرِّي فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ لَمْ تَرَاْعُوا لَمْ تَرَاْعُوا. رواه البخاري ومسلم.

وجاء رجل إلى البراء بن عازب، فقال: أكنتم وليتم يوم حنين، يا أبا عمار؟ فقال: أشهد على نبي الله صلى الله عليه وسلم ما ولى، ولكنه انطلق أخفاء من الناس، وحسر إلى هذا الحي من هوازن، وهم قوم رماة، فرموهم برشق من نبل، كأنها رجل من جراد، فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته، فنزل ودعا واستصر، وهو يقول: «أنا النبي لا أكذب، أنا ابن عبد المطلب، اللهم أنزل نصرك» (20).

19- أخرجه أحمد في المسند (81/2) (654)، وأبو داود في كتاب الصلاة (930) قال تحققوا المسند، إسناده صحيح.
20- أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير (2719) وفي غير هذا الموضوع ومسلم، كتاب الجهاد والسير (1776) وهو في المصنف لابن أبي شيبة بهذا اللفظ (89/21).



رحمة النبي صلى الله عليه وسلم

عن سهيل بن الحنظلية قال: مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعير قد لحق ظهره ببطنه، فقال: ”اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة“. ”المعجمة: التي لا تنطق“. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وعن عبد الله، عن أبيه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حُمرة (طائر يشبه العصفور) معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة، فجعلت تُعرش، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها. (21)

جود النبي صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان، حتى ينسلخ، فيأتيه جبريل، فيعرض عليه القرآن، فإذا لقيه جبريل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة. رواه البخاري ومسلم.

وعن أنس: أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم غنماً بين جبلين فأعطاه إياه، فأتى قومه فقال: أي قوم أسلموا فوالله إن محمداً ليعطي عطاء ما يخاف الفقر، فقال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يُسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها. رواه مسلم.

زهد النبي صلى الله عليه وسلم

ثبت في زهد (22) النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب في حديث إيلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه، أن لا يدخل عليهنَّ شهراً، واعتزل عنهنَّ في عليّة، فلما دخل عليه عمر في تلك العليّة فإذا

21- رواه أبو داود كتاب الجهاد (2675) وهو في صحيح الترغيب والترهيب بسند صحيح.

22- الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها إلى ما هو خير منها علماً بأن المتروك حقير بالإضافة إلى المأخوذ.





ليس فيها سوى صبرة من قرظ، وأهبة معلقة، وصبرة من شعير، وإذا هو مضطجع على رمال حصير، قد أثر في جنبه، فهملت عينا عمر فقال: ما لك؟ فقلت: يا رسول الله أنت صفوة الله من خلقه، وكسرى وقيصر فيما هما فيه. فجلس محمراً وجهه فقال: أوفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ ثم قال: أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا. وفي رواية لمسلم: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة فقلت: بلى يا رسول الله. قال: فاحمد الله عز وجل.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً" (أي ما يسد الجوع) متفق عليه. وحكى عمر بن الخطاب رضي الله عنه حال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يتلوى من الجوع، ما يجد ما يملأ من الدقل بطنه. (الدقل: رديء التمر) رواه مسلم.

المطلب الخامس: الاحتفال برسالة النبي صلى الله عليه وسلم ومولده

تحتفل جموع من المسلمين بالمولد النبوي كل عام هجري في شهر ربيع الأول، ويختلف شكل الاحتفال من بلد لآخر، بل نجد في البلد الواحد أشكالاً متعددة للاحتفال بالمولد النبوي.

تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي

يذكر الإمام أبو شامة أن أول من احتفل بالمولد النبوي بشكل منظم هو معين الدين الإربلي المعروف بالملاء شيخ الموصل في عصره، (ت: 570هـ).

وقيل: إنه كان يحتفل بها سنوياً بحضور الشعراء والأمراء في زاويته. ويذكر الإمام السيوطي أن أول من احتفل بالمولد النبوي هو حاكم أربيل (شمال العراق) ابن بكتكين.

ولكن الأشهر هو عناية الدولة العبيدية الشهيرة بالفاطمية بالمولد النبوي، حيث كانت تحمل صواني الحلوى إلى الجامع الأزهر، ثم إلى قصر الخلافة حيث تلقى الخطب ويدعى للخليفة. كما كانت الدولة الأيوبية تحتفل بالمولد النبوي وينفق فيها أموالاً طائلة



على الفقراء وغيرهم، ويجتمع الصوفية والفقهاء والوعاظ والشعراء، فتتحرر الإبل والبقر والغنم وتطبخ ويأكل الناس.

أما الاجتماع في عمل المولد على غناء ورقص ونحو ذلك واتخاذ عباد، فلا يرتاب أحد من أهل العلم والإيمان في أن هذا من المنكرات التي ينهى عنها.

واتخذ الاحتفال في الخلافة العثمانية شكلا آخر، حيث كان يحتفل بالمولد كل عام في مسجد معين، ولما كان عهد السلطان عبد الحميد الثاني اقتصره على الجامع الحميدي، ويخرج العلماء والناس في ليلة الثاني عشر من ربيع فيدخلون المسجد، مع السلطان، فيقرؤون القرآن ثم يقرؤون قصة مولد النبي ثم كتاب دلائل الخيرات في الصلاة على النبي ثم ينتظم بعض المشايخ في حلقات الذكر فينشد المنشدون وترتفع الأصوات بالصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام، ثم في صبيحة يوم 12 من ربيع الأول يجيء كبار الدولة لتهنئة السلطان.

وفي المغرب الأقصى اتخذ الاحتفال شكلا قريبا من احتفال الخلافة العثمانية، حيث يجمع المؤذنون ويخرج السلطان فجر يوم المولد فيصلي بالناس ثم يجلس على أريكته ويدخل الناس حسب طبقاتهم، ثم يتقدم أحد الوعاظ لسرد جملة من فضائل النبي ومعجزاته، ثم يقوم الشعراء والمداح، فإن انتهوا، بسطت موائد الطعام للناس.

صور الاحتفال بالمولد النبوي

تختلف صور الاحتفال بالمولد النبوي، وذلك على النحو التالي:

الصورة الأولى: هو ما يفعله بعض الجهلة من العوام من اختلاط الرجال بالنساء ورفع الشارات والغناء وغيرها مما لا علاقة له بالمولد النبوي، إلا الاجتماع والرقص والأكل والشرب.

وهذه الصورة لا يشك عاقل فضلا عن أن يكون عالما في حرمتها، وأنها من المنكرات التي دخلت بلاد المسلمين. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في فتوى له: "فأما الاجتماع في





عمل المولد على غناء ورقص ونحو ذلك واتخاذ عباد، فلا يرتاب أحد من أهل العلم والإيمان في أن هذا من المنكرات التي ينهى عنها، ولا يستحب ذلك إلا جاهل أو زنديق".

الصورة الثانية: هو الاحتفال بتلاوة القرآن وذكر فضائل النبي ومولده، وإنشاد بعض الشعر في مدحه عليه الصلاة والسلام.

وهذه الصورة الثانية هي التي نقل الاختلاف فيها بين أهل العلم، على رأيين:

الرأي الأول - جواز الاحتفال بالمولد النبوي، وهو ما ذهب إليه السيوطي، وابن الجوزي، وابن حجر العسقلاني، والسخاوي، وغيرهم من المتقدمين، واختار هذا الرأي من المتأخرين: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، والشيخ حسنين محمد مخلوف شيخ الأزهر، والشيخ يوسف القرضاوي، والدكتور أحمد الريسوني وغيرهم.

الرأي الثاني - الاحتفال بالمولد النبوي بدعة منكرة، وحرام في دين الله تعالى. وقال بهذا الرأي: الإمام ابن تيمية الحراني، والإمام الشاطبي، والإمام تاج الدين الفاكهاني، ومن المتأخرين: الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي المملكة، والشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين، والشيخ الألباني وغيرهم.

أ - اعتمد القائلون بالجواز بما ثبت في الصحيحين من أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى، فنحن نصومه شكرًا لله تعالى.

وأن الاحتفال بالمولد النبوي وإن كان بدعة لم توجد في العصور الأولى؛ فإنه من البدعة الحسنة، وقد نص الحديث على وجود بدعة حسنة، وقال عمر: نعمت البدعة هي، فليس كل محدث حراما، بل قد يكون مستحبا. وأنه لا تكره البدع إلا إذا راغمت السنة، وأما إذا لم تراغمها فلا تكره.

كذلك أن الأعمال صحتها وفسادها موقوف على النية، ولا شك أن نية شكر الله تعالى على ميلاد النبي من النيات المستحسنة.



كما استدل هذا الفريق أن إظهار الفرح والسرور الأصل فيه أنه مباح، فكيف يكون إظهار الفرح والسرور لمولد سيد البشر ممنوعاً؟! بل إظهاره مشعر بمحبته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه في قلب فاعل ذلك، وشكراً لله على نعمة الرسالة.

ب - أما المذهب الآخر الذي يرى أن الاحتفال بالمولد النبوي بدعة محرمة، فاستند إلى ما قاله الإمام ابن تيمية - رحمه الله - من كون الاحتفال بالمولد النبوي بدعة لم يفعله السلف، مع قيام المقتضي له وعدم المانع منه، وقال: "ولو كان هذا خيراً محضاً، أو راجحاً؛ لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص.

وأن ما يفعله المحتفلون من أعمال صالحة كقراءة القرآن وذكر فضائل النبي صلى الله عليه وسلم هو مشروع في ذاته، لكن نيته غير صحيحة، ألا ترى أن الصلاة مشروعة، لكنها قد تكون بدعة إن لم تؤت على الوجه الصحيح، وفي الحديث: "كل بدعة ضلالة".

ويشتمل الاحتفال كذلك على مخالفات فضلاً عن بدعيته، من استعمال الأغاني وآلات الطرب، وقلة احترام كتاب الله حيث يجمعون بين تلاوة القرآن وبين الغناء. كما أنه لم يقيم الدليل الشرعي على تفضيل يوم المولد، ثم إن يوم المولد هو يوم الوفاة".

تلك كانت أدلة الفريقين، ممن يرى أن الاحتفال بالمولد النبوي بدعة منكرة، وبين من يرى أنه جائز، ولكن لم يقل أحدٌ من الفقهاء بجواز ما تقوم به غالب الاحتفالات التي تحصل في بلاد المسلمين الآن من اختلاط الرجال بالنساء، وما تقوم بعض الطرق المنسوبة للصوفية من الاجتماع في الأماكن العامة، ونصب الفرش، والاحتفال بالرقص والغناء وارتكاب المحرمات، وما يحصل عن هذا من المفاصد الدينية والدنيوية، فإن كل ذلك لا يقول فقيه معتبر بحله أبداً.

أما الاقتصار بتذكير الناس بالسيرة النبوية والهدي النبوي من أخلاقه وسلوكه وفضائله وشمائله، وتذكير الناس بهدي نبهم صلى الله عليه وسلم، فذلك هو الذي يكون محل خلاف بين الفقهاء، وإن كان الأصل فيه أنه مشروع ومندوب إليه، لكن التذكير به في





هذا اليوم تحديداً هو محل الخلاف بين الفقهاء، وكما قرر الفقهاء في قواعدهم: "لا ينكر المختلف فيه، إنما ينكر المتفق عليه"، المهم في هذا أن نمنع البدع المتفق على تحريمها، وأن نحاربها، وأن نبين خطأها، ثم بعد ذلك يسعنا الاختلاف فيما هو مختلف فيه.

احتفاء غير المسلمين بالنبي الكريم ورسالته

في مناسبة ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم نورد شيئاً من ثناء غير المسلمين عليه، ومدحهم له، واعترافهم برسالته، ممن تملكهم الإعجاب به والمحبة له وإن لم يسلموا له ولم يتبعوا ما جاء به، مع أن القارئ ربما يحلف يمينه لا يستثني أن ما كتبوه ونطقوا به لا يصدر إلا عن مسلم ذاق حلاوة الإيمان.

أ - عيد البرية عنوان قصيدة لشاعر مسيحي اسمه رشيد سليم الخوري يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيها :

عِيدُ الْبَرِيَّةِ عِيدُ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ
فِي الْمَشْرِقَيْنِ لَهُ وَالْمَغْرِبَيْنِ دَوِيٌّ
عِيدُ النَّبِيِّ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَنْ طَلَعَتْ
شَمْسُ الْهَدَايَةِ مِنْ قُرْآنِهِ الْعُلَوِيِّ
بَدَأَ مِنَ الْقَفْرِ نُورًا لِلْوَرَى وَهُدًى
لَتَمَدَّنَ عَمَّ الْكَوْنِ مِنْ بَدَوِيٍّ
يَا فَاتِحَ الْأَرْضِ مَيِّدَانَا لِدَوْلَتِهِ
صَارَتْ بِلَادُكَ مَيِّدَانَا لِكُلِّ قَوِيٍّ
يَا حَبِّدَا عَهْدَ بَغْدَادٍ وَأَنْدَلُسٍ
عَهْدَ بَرْجِي أَفْذِي عَوْدَهُ وَدَوِيٍّ
مَنْ كَانَ فِي رِيْبَةٍ مِنْ ضَخَمِ دَوْلَتِهِ
فَلْيَتْلُ مَا فِي تَوَارِيخِ الشُّعُوبِ رُوي





ولو قائل قال إن هذا الشعر لا يقوله إلا مسلم خالط الإيمان بشاشة قلبه، لصدق في قوله، فإن الشاعر يجيب في هذه القصيدة عن ذلك بما لا يدع مجالاً للشك فيقول:

يَا قَوْمَ هَذَا مَسِيحِي يُذَكِّرُكُمْ
لَا يُنْهَضُ الشَّرْقُ إِلَّا حُبْنًا الْأَخْوِي

ولا غرابة في هذا فقد يسلم لسان المرء ولا يسلم قلبه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في أمية ابن أبي الصلت الثقفي: "كَادَ يُسَلِّمُ فِي شَعْرِهِ". (23)

وأمية قد أدرك الإسلام ورثى من قتل من الكفار في بدر، ولم يختلف أصحاب الأخبار أنه مات كافراً، ومن شأنه أنه كان يخبر بأن نبيا يبعث قد أظل زمانه ويؤمل أن يكون ذلك النبي، فلما بلغه خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمن به حسداً له، حتى مات. ومن شعره قوله:

فقد جاء ما لا ريب فيه من الهدى
وليس يرد الحق إلا مفند
فكن خائفاً للموت والبعث بعده
ولا تك فيمن غره اليوم أو غد

وقد ذكر عمرو بن الشريد عن أبيه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَشَدَّهُ مِنْ شَعْرِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ قَالَ: فَأَنْشَدْتُهُ مِائَةَ قَافِيَةٍ، فَلَمْ أَنْشِدْهُ شَيْئًا إِلَّا قَالَ: «إِيه، إِيه» حَتَّى إِذَا اسْتَفْرَغْتُ مِنْ مِائَةِ قَافِيَةٍ، قَالَ: «كَادَ أَنْ يُسَلِّمَ». وفي رواية: "آمن شعره وكفر قلبه"، أو "آمن لسانه وكفر قلبه"، أي آمن لسانه وشعره بالله، ولكنه هو كفر برسوله، ولم يؤمن بما جاء به نسأل الله السلامة والعافية.

وكذلك أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم فقد أبى الإسلام واتباع الرسالة، وإن صدق بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وقال لولا أن تعيرني قريش لأقررت بها

23- صحيح مسلم: (225) من حديث الشريد بن عمرو. وفي البخاري حديث رقم: (3341) عن أبي هريرة مرفوعاً: "وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم".





عينك، ولكن أذُبْ عنك ما حييت ثم أنشد :

وَاللّٰهُ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ
حَتَّى أُوسِدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا
فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ
وَابْشِرْ بِذَلِكَ وَقَرِّ مِنْهُ عُيُونَا
وَدَّعَوْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ نَاصِحٌ
وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ تَمَّ أَمِينَا
وَعَرَضْتَ دِينًا قَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّهُ
مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْ لَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارُ مَسَبَّةٍ
لَوْ جَدْتَنِي سَمَحًا بِذَلِكَ يَقِينَا

وأعجب من ذلك أن تقرأ ما سطرته الكاتبة الإيطالية "لوريا فيتشا فليري" في كتابها محاسن الإسلام حيث تقول: في بلد قفر بواد غير ذي زرع .. منعزل عن الإنسانية المتمدنة تفجر ينبوع ماء سلسبيل عذب منعش بين قوم من الهمج، جبابرة غلاظ القلوب لا يخضعون لسلطان ولا يتقيدون بقيد .

ذلك الينبوع هو دين الإسلام الذي تدفق بغزارة واتخذ سبيله في الأرض سربا... ولم يلبث الناس أن تذوقوا هذا الشراب العجيب وشفوا من أمراضهم الاجتماعية واتحد المختلفون منهم والمتخاصمون، وانطفأت نيران الحقد والكراهية المشبوبة في صدورهم... لم يعرف التاريخ حادثا مماثلا لهذا الحادث الخطير؛ لأن السرعة العظيمة التي أتم بها الإسلام فتوحاته كان لها الأثر في حياته. إذ إنه بعد أن كان عقيدة نفر قليل من المتحمسين أصبح دينا لعدة ملايين من الناس .

وليت شعري كيف تأتي لهؤلاء المجاهدين غير المدربين أن ينتصروا على شعوب يفوقونهم مدنية وثروة، ويزيدون عليهم دربة ومراسا للحرب... وكيف أمكن هذا الدين أن يوطد في نفوس أولئك المهتدين الحديثي الإيمان أمتن الأسس، وكيف تسنى له أن يحتفظ



بحيويته العظيمة التي لم تعرف مثلها ديانة أخرى من قبل حتى بعد ثلاثة عشر قرناً خلت بعد حياة مؤسسه، ... لعمرى إن هذا كله مما يبعث في الإنسان الشيء الكثير من الدهشة والذهول...

أخذ الناس الذين دهشوا لهذا الانقلاب الاجتماعي الديني السياسي يتساءلون عن سببه الأول، ولكنّ الكثيرين منهم كانوا لا يبصرون أو تعمدوا إغماضَ عيونهم، فظلوا يتخبطون طويلاً في مجاهل الغلط والشطط، ولم يدركوا أنّ القوة الإلهية هي التي أعطت الإشارة الأولى لهذه الحركة المباركة الواسعة النطاق، ولم يشاءوا أن يصدقوا أن الحكمة الإلهية هي التي اقتضت أن يكون محمدٌ خاتَمَ الأنبياء والمرسلين، وسجلت له إلى الآن رسالة عامة إلى الناس أجمعين، بغير تمييز بين جنس وجنس، أو بين بلد وبلد".

إن العجب ليطمئن المرء وهو يقرأ هذه السطور ويتمعن في هذه الشهادة والإقرار ومع ذلك لا يؤمن كاتبها ولا ينهل من هذا المعين الذي وصف.

يقول الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي: "من خلال هذه الفصول قدمت المؤلفة شهادات موضوعية تمثل قراءة متجردة للإسلام وسيرة نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام وذلك في إطار ما اعتبرناه شهادات أدلى بها المنصفون من الباحثين والدارسين الغربيين في نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام".

وأمثال لوريا كثير ومنهم: نصري السلهب اللبناني المسيحي الذي يقول في كتابه: "الإسلام ليس بحاجة إلى قلمنا، مهما بلغ قلمنا من البلاغة. ولكن قلمنا بحاجة إلى الإسلام، إلى ما ينطوي عليه من ثروة روحية وأخلاقية، إلى قرآنه الرائع الذي بوسعنا أن نتعلم منه الكثير". (24)

والمستشرق الدكتور مايكل هارت من أولئك تملكهم الإعجاب بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد عبر عن ذلك من خلال كتابه الشهير "المائة الأعظم تأثيراً في التاريخ" والذي ترجمه إلى العربية الكاتب أنيس منصور تحت عنوان "الخالدون مائة أعظمهم محمد"





صلى الله عليه وسلم. وقد قال هارت: "إن محمدا هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحا مطلقا على المستوى الديني والدنيوي".

وقد جمع الدكتور عماد الدين خليل كثيرا من أقوال المستشرقين في الثناء على الإسلام والاعتراف بعظمة القرآن وقدسيته في وريقات بعنوان "قالوا عن الإسلام" وكثير من هؤلاء أسلم لما عرف الحق وبعضهم لم يؤمن رغم اعترافه بأن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حق لا باطل فيه وصدق لا ريب معه.





المبحث الثاني

خصائص بعثة النبي صلى الله عليه وسلم

يشتمل على وقفات من حياة النبي صلى الله عليه وسلم الدعوية
بعد البعثة حتى الوفاة، وفي هذا مطالب:

المطلب الأول: بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وطلیعة الوحي
الألهي

المطلب الثاني: العهد المكي وبناء الأخلاق والقيم

المطلب الثالث: الإسراء والمعراج .. مقدمات ومقاصد

المطلب الرابع: هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة

المطلب الخامس: تأسيس المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة

المطلب السادس: وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم



المطلب الأول: بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وطلیعة الوحي الإلهي

لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم في العمر أربعين سنة، نزل عليه جبريل بالوحي في يوم الاثنين لسبع عشر خلت من رمضان، ويحدثنا الإمام البخاري رضي الله عنه في «صحيحه» بالسند المتصل إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن كيفية نزول الوحي عليه، فتقول:

أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه - وهو التعبّد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال له: اقرأ. فقال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. (العلق: 1 - 6).

فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: زملوني، زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: والله لا يخذيك الله أبدا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل (الضعيف)، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وكان ابن عم خديجة، وكان امرءا تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس -صاحب الوحي وهو جبريل - الذي نزل على موسى.. الحديث





كانت (اقرأ) أوّل نجم نزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك في سورة العلق، وافتتحت الآيات الخمس الأولى التي كانت طليعة الوحي الإلهي على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ما اعتمده العلماء على وفق هذه الرواية الصحيحة المؤيَّدة بكثير من الروايات الأخرى.

ومن هذه الرسالة نستطيع أن نتبيّن حال الرسول قبيل البعثة، وحالته عند مبدأ البعثة، ثم حالته بعد أن تلقى أول نجم نزل عليه؛ لما يرشد أنه كان متهيئاً لها أتمّ التهيء، في حال أنه كان خالياً عنها تمام الخلوّ، ثم تركته وهو في دهش الحادث، فلم يقدر أن يضبط قواه ويراجع نفسه حتى يحكم فيها حكماً جازماً بأنها وحي من الله، فذهب يستعين بورقة بن نوفل -وهو من أولي العلم بهذا الشأن- كما أنها أوقفتنا على فترة الوحي بعد ذلك، ما يدل على براءة ساحته من النقول والادعاء.

تصوير الموقف: نزل الرُّوح الأمين على محمد -صلى الله عليه وسلم- بأول نجم من نجوم الرسالة العظمى التي مكثت تنزل ثلاثاً وعشرين سنة كلّها كانت جهاداً في سبيل إخراج الناس من الظلمات إلى النور، بالدعوة تارة وبالهجرة أخرى، وبالقِتال ثالثة، حتى تمّ له الأمر، واستقرّ له الحال، وأدّى الرسالة كاملة، ثم تركها لخير أمة أُخرجت للناس، ولحق برّبه.

فانظر ماذا كان يقتضيه الموقف في افتتاح تلك الرسالة العظمى، من الربّ الأعلى إلى محمد الأمي؛ ليقوم بهذه المهمة الخطيرة.

محمد خالي الذهن عن مخاطبة من ربّه، اللهم إلّا ما كان عنده من ذلك الشعور الذي حصل له بسبب الرؤيا الصالحة في النوم، وربّه الأعلى يريد أن يُرسله للناس ليبلغهم عنه نجوم هذه الرسالة، ليمتثلوا ما فيها من أوامر ونواهي... فما تكون إذاً عناصر تلك الرسالة؟

من المعقول أن تكون هذه الرسالة مشتملة على تعريفه بالمرسل للرسالة، ثم بمنزله منه التي تربطه به، ثم بالمهمة المأمور بها التي هي غرض الرسالة، ثم بالعلاقة التي تربطه بالمرسل إليهم ليصحّ منهم تقبّل ما كلفوا به، ثم تعريفه بالجهة التي تلزمهم بالاعتراف بتلك الرابطة.





المرسل هو الله، وهو ربُّ محمد، ومهمّة محمد التبليغ، ثم هو ربُّ الناس المبلّغ إليهم، ثم المبلّغ هو ما يهتدون به إلى ما يجب عليهم التزامه في هذه الحياة من مبدأ ومنهج وغاية، ثم جهة الإلزام تكون أولاً بإثبات ربوبيته لهم ثم بإثبات كرمه الذي يقتضي امتنانه عليهم، ثم إثبات استعدادهم لقبوله، ثم بإثبات افتقارهم إليه.

أما إثبات ربوبيته: فأوضح طريق له الدلالة البيّنة في الخلق من التدبير الإلهي المائل مُثُوْلًا بيّنًا في أطوار الإنسان.

وأما إثبات كرمه: فببيان رحمته لهم، وعنايته -تعالى- بهم.

وأما إثبات استعدادهم لقبوله: فبيان أنه ميّزهم بالعقل والفهم والعلم والقدرة على ضبط علومهم وتقييدها بالقلم.

وأما إثبات افتقارهم إليه: فبيان أنه الهدى الذي تتوقف عليه سعادتهم من جهة، وهو فوق طاقة إدراكهم من جهة أخرى. ولو أن هذه الرسالة صيغت على سَنَنِ إنسانيّ مشتملة على هذه العناصر، لبرزت على وفق التفكير الإنساني بما يحوطه من مهارة في القول وبراعة في صيغة البيان، لا يخرج به عن قَدْرِ البشر.⁽²⁵⁾

المطلب الثاني: بناء الأخلاق والقيم في مكة المكرمة

كان النبي صلى الله عليه وسلم في العهد المكي بين فترة البعثة المحمدية حتى الهجرة النبوية المباركة إلى المدينة يركز في دعوة الناس والصحابة على وجه الخصوص على تربية المسلمين الأوائل على الأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة، وكان المسلمون في هذه المرحلة الأولى من الدعوة مستضعفين، وكانوا الكفة الضعيفة في صراعهم مع الكفار، لذلك كان التركيز في هذه المرحلة على بيان أصول الدين، كالإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، وعلى مبادئ الأخلاق ومكارمها كالعدل والإحسان والوفاء بالوعد وأخذ العفو والخوف من الله وحده، والشكر له على امتنانه، وتجنب مساوئ الأخلاق من الكذب والزنا والقتل ووأد

25- محمد السماحي، مقال بعنوان: (طليعة الوحي الإلهي نظرات في آيات سورة العلق)، موقع إسلام أون لاين:

Islamonline.net





البنات والتطفيف في الكيل والميزان، والنهي عن كل ما هو كفر أو شرك وما يتصل بهما من الذبح لغير الله والاستقسام بالأزلام والطيرة وغير ذلك.

بدأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه المرحلة المكية بالدعوة سرا إلى الله تعالى، كان يدعو إلى هذه المكارم سرّاً حذراً من وقع المفاجأة على قريش التي كانت متعصبة لشركها ووثنيته، فلم يكن عليه الصلاة والسلام يظهر الدعوة في المجالس العمومية لقريش، ولم يكن يدعو إلا من كانت تشدّه إليه قرابة أو معرفة سابقة. (26)

وكان في أوائل من دخل الإسلام من هؤلاء: خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وهي زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة مولاه عليه الصلاة والسلام ومتبناه، وأبو بكر بن أبي قحافة، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص.. وغيرهم، رضي الله عنهم جميعاً.

ويلاحظ أن أغلب الأوائل الذين دخلوا في الإسلام خليط من الفقراء والضعفاء وبعض الأقارب، وهذه الثمرة الطبيعية لدعوة الأنبياء في فترتها الأولى.

ألم تر إلى قوم نوح كيف كانوا يعيرونه بأن أتباعه الذين من حوله ليسوا إلا من أراذل الناس ودهمائهم: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ (هود: 27).

وكان فرعون وشيعته يحقرون أتباع موسى ويستضعفونهم، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: 4).

ونبي الله صالح عليه السلام تولى عنه الزعماء مستكبرين، وآمن به الناس المستضعفون، حتى قال الله في ذلك: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ، قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَاذِبُونَ﴾. (الأعراف: 75-76).

26- فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة (ص68).



والسرّ في ذلك، أن حقيقة هذا الدّين الذي بعث الله به عامة أنبيائه ورسله، إنما هي الخروج عن سلطان الناس وحكمهم إلى سلطان الله وحكمه وحده. وهي حقيقة تخدش أول ما تخدش ألوهية المتألّهين وحاكمية المتحكمين وسطوة المتزعمين، وتناسب أول ما تناسب حالة المستضعفين والمستذلين والمستعبدين.

ولا يفهم من هذا الكلام أن المستضعفين الذين أسرعوا إلى الإسلام قبل غيرهم لم يكن دخولهم فيه عن إيمان بل عن قصد ورغبة في التخلص من أذى المستكبرين وسلطانهم. ذلك لأن الإيمان بالله وحده والتصديق بما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام، كان قدرا مشتركا بين زعماء قريش ومستضعفيها، فما منهم أحد إلا وهو يعلم صدق النّبي صلى الله عليه وسلم فيما يخبر عن ربّه، غير أن الزعماء والكبراء فيهم كانت تصدّهم زعامتهم عن الانقياد والاتباع له. (27)

وأما كفار قريش فقد عاملوا النبي صلى الله عليه وسلم ومعه الصحابة رضوان الله عليهم - وهم في مكة المكرمة- بالإساءة والأذى، ومارسوا ضدهم أساليب الضغط المختلفة تصل في بعضها إلى درجة تشويه السمعة (28)، والتهديد (29)، والتعذيب كما فعلوا بالصحابي الجليل بلال بن رباح، وبيت آل ياسر، بلغ بهم العذاب والنكال الشديد حتى

27- «فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة» (ص71).

28- جاء في البداية والنهاية: عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش، وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم، فقال: إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيا واحدا .. ولا تختلفوا فيه فيكذب بعضكم بعضا، ويرد قول بعضكم بعضا. فقيل: يا أبا عبد شمس: فقل وأقم لنا رأيا نقول به. قال: بل أنتم فقولوا وأنا أسمع. فقالوا: نقول كاهن. فقال: ما هو بكاهن، رأيت الكهان، فما هو بزممة الكهان. فقالوا: نقول مجنون. فقال: ما هو بمجنون، ولقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. فقالوا: نقول شاعر. فقال: ما هو بشاعر، قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر. قالوا: فنقول هو ساحر. قال: ما هو بساحر، قد رأينا السحار وسحريهم، فما هو بنفثه ولا عقده. قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لغدق، وإن فرعه لجنى، فما أنتم بقائلين شيئا من هذا إلا عرف أنه باطل. وإن أقرب القول لأن تقولوا هذا ساحر، فتقولون هو ساحر يفرق بين المرء ودينه، وبين المرء وأبيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وعشيرته .. فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون للناس حتى قدموا الموسم، فلا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره).

29- قال محمد بن إسحاق: (أبو جهل الفاسق الذي يغري بهم في رجال من قريش، إذ سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وأخزاه، وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفن حلمك، ولنقتيلن رأيك، ولنضعن شرفك، وإن كان تاجرا قال: والله لنكسدة تجارتك، ولنهلكن مالك، وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به).





استشهد والدا عمار وهما ياسر وسمية تحت وطأة التعذيب والاعتداء⁽³⁰⁾، وقد يلجؤون إلى الترغيب والإغراء بالمال والمنصب والنساء، حتى وصل بهم الأمر إلى المقاطعة.

لكن رغم كل هذه المصائب والمكائد، كان الصحابة صابرين مثابرين ومتماسكين لا تزعزعهم هذه الأحداث، وضربوا المثل الأعلى في الثبات والتمسك بالمبادئ وعدم الاغترار بالوعود أو الرضوخ للضغوطات.

وكان نتيجة هذا الصبر والثبات في مواجهة مكائد الأعداء، دخول الناس في الإسلام بعد فترة وجيزة أرسالا من النساء والرجال حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به. وهنا أمر الله رسوله أن يصدع بما جاءه من الحق، وأن يبايدي الناس بأمره وأن يدعو إليه، وكان بين ما أخفى رسول الله أمره واستتر به إلى أن أمره الله بإظهار دينه ثلاث سنين من مبعثه.

تعلم الصحابة رضوان الله عليهم خلال مراحل الدعوة السرية والجهرية في مكة المكرمة حتى الهجرة النبوية المباركة، منهاج الحياة ومعاملة غير المسلمين، القيم الأخلاقية الرائعة ومنها :

1- إثبات سنة الله تعالى في الابتلاء، وذلك أن الله تعالى قدر على الخلق جميعا أن يقع الابتلاء، يتساوى فيه الجميع المسلمين وغيرهم، الصالحين والطالحين، وذلك ليميز الله الخبيث من الطيب، فلا يترك الأمر للادعاء فقط، إنما يتم الاختبار من خلال المحنة، فيكشف الدعي من الصادق. تماما كما يتم اختبار المعدن النفيس بالنار، وكلما ازداد صهره انكشفت جودته أو خساسته. يقول الله تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت: 2-3).

30- قال ابن مسعود رضي الله عنه: (كان أول من أظهر الإسلام سبعة رسول الله (ص)، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله (ص) فممنعه الله بعمه، وأبو بكر ممنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم دروع الحديد، وصهروهم في الشمس فما منهم من أحد إلا وقد أتاهم على ما أرادوا، إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه في الله تعالى، وهان على قومه فأخذوه، فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحد، أحد). رواه ابن ماجه وقال: في الزوائد إسناده ثقات، رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرک.



وقد واجه النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة معه ألوان الأذى والمصيبة بالصبر والتثبت ورباطة الجأش.

2- ترسيخ مبادئ العقيدة الصافية ومكارم الأخلاق، فقد كان أهم بنود منهج الدعوة الإسلامية هو بناء العقيدة الصحيحة، والاهتمام بالجانب الروحي، وتعميق البعد الإيماني، فلا بُدَّ أن يعرف المؤمنون في هذه المرحلة ربهم جيداً، ولا بُدَّ أن يعرفوا رسولهم وكتابهم، ولا بُدَّ كذلك أن يعرفوا اليوم الآخر بتفصيلاته.. هذه هي القواعد الأساسية لبناء قاعدة صلبة، ولتحقيق هذه الأهداف العقائدية الكبيرة نزلت السور التي تتحدث عن صفات الله تعالى، وقدرته، وعظمته، وجبروته، ورحمته، وتحدثت عن كونه، وخلقه، وإعجازه؛ مثل: سور الأنعام، والنحل، ونزلت السور التي تتحدث عن يوم القيامة بتفصيلاته؛ مثل: سور التكويد، والانفطار، والانشقاق، والقارعة، والحاقة. (31)

3- معرفة النفوس وميولها والتدرج بها في الدعوة إلى الله تعالى، فقد التزم النبي صلى الله عليه وسلم منهاجا حكيما في تبليغ رسالة الإسلام، حيث بدأ بالأهون فالهين، وكان يراعي ظروف المدعوين من الصحابة وغيرهم، حتى في مجال التشريع فكان ينزل عليه النص في شأن لا يأتي البت فيه بالفعل أو بالترك، إلا بعد التمهيد المناسب، وإبراز الحكمة الإلهية المراد تحقيقها، وهذا ما أشارت إليه عائشة رضي الله عنها: "إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً" الحديث. (32)

وإذا تأملنا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم جيدا فإنه يتبين أن وسائله عليه الصلاة والسلام في تبليغ الدعوة وحمايتها قد جاءت متدرجة كأنها حلقات في سلسلة، كل حلقة تقود إلى التي تليها فأظهرت لنا هذه الوسائل طبيعة التدرج في السير خطوة خطوة، فبدأ صلى الله عليه وسلم بوسيلة القول واستمرت هذه الوسيلة طيلة العهد المكي، ثم لما هاجر صلى الله عليه وسلم حيث الجماعة المسلمة وأقام دولة الإسلام اتخذ وسيلة لحماية هذه

31- راغب السرجاني، <https://www.islamstory.com/ar/artical>

32- أخرجه البخاري، في فضائل القرآن، باب تأليف القرآن (4707).



4- تحرير العقول من ربطة التقليد للعادات الموروثة، والانتصار والتعصب للحق إذا ظهرت براهينه، وهذا يعد قيمة كبيرة درب النبي صلى الله عليه وسلم الرعيل الأول من الصحابة عليها، وهم في مكة المكرمة، فقد عاب النبي صلى الله عليه وسلم على قومه أن يأسروا أنفسهم للتقاليد الموروثة عن آبائهم وأجدادهم دون تفكر منهم في مدى صلاحها أو فسادها، ودعاهم إلى تحرير عقولهم من أسر الاتباع الأعمى وعصبية التقاليد التي لا تقوم على شيء من أساس الفكر والمنطق.

وفي هذا دليل على أن أساس هذا الدين- بما فيه من عقائد وأحكام- إنما هو اعتماده على العقل والفكر السليمين، وأن المتوخى في التمسك به إنما هو مصلحة العباد العاجلة والآجلة- ولذلك كان من أهم شروط صحة الإيمان بالله وما يتبعه من أمور اعتقادية أخرى- أن يقوم على أساس من اليقين والفكر الحر، دون أدنى تأثر بأي عرف أو تقليد ومن هنا تعلم أن الدين جاء حربا على التقاليد، والدخول في أسرها. (34)

المطلب الثالث: الإسراء والمعراج .. مقدمات ومقاصد

الإسراء هو الرحلة التي أكرم الله بها نبيه من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس، أما المعراج فهو ما أعقب ذلك من العروج به إلى طبقات السماوات العلا ثم الوصول به إلى حد انقطعت عنده علوم الخلائق من ملائكة وإنس وجن، كل ذلك في ليلة واحدة.

وقد اختلف في ضبط تاريخ هذه المكرمة الإلهية هل كانت في العام العاشر من بعثته صلى الله عليه وسلم أم بعد ذلك. والذي رواه ابن سعد في طبقاته الكبرى أنها كانت قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا .

33- المطلق، إبراهيم، التدرج في دعوة النبي (55): وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1417هـ.

34- فقه السيرة النبوية (75).



وجمهور المسلمين على أن هذه الرحلة كانت بالجسم والروح معا، ولذلك فهي من معجزاته الباهرة التي أكرمها الله بها. ولنقف على أهم الأهداف التي تحققت للنبي صلى الله عليه وسلم خلال هذه الآية الكبيرة، وهي معجزة الإسراء والمعراج.

أولا: المقصد الأعلى من وراء رحلة الإسراء والمعراج

لطالما سمعنا أن رحلة الإسراء والمعراج كان سببها؛ التسمية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الذي أصابه من رحلة الطائف؛ والاحتفاء به صلى الله عليه وسلم.

ولا شك أن هذه الرحلة لم تخلُ من مظاهر الحفاوة والتكريم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن اشتمال الإسراء والمعراج على مظاهر الاحتفاء والتكريم لا يستلزم بالضرورة أن يكون هذا هو المقصد من وراء هذا المسرى العجيب.

وإذا كانت الآيات القرآنية التي تحدثت عن المسرى قليلة إلا أنها لم تغفل المقصد من ورائه، قال تعالى: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ (الإسراء: 1) جاء ذلك تعليلا وبيانا للمقصد: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: 1).

يقول ابن عاشور: وقوله ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ تعليل الإسراء بإرادة إراءة الآيات الربانية، تعليل ببعض الحكم التي لأجلها منح الله نبيه منحة الإسراء، فإن للإسراء حكماً جمة تتضح من حديث الإسراء المروي في الصحيح.

وأهمها وأجمعها إراءته من آيات الله تعالى ودلائل قدرته ورحمته، أي لنريه من الآيات فيخبرهم بما سألوه عن وصف المسجد الأقصى. ولام التعليل لا تفيد حصر الغرض من متعلقها في مدخولها. وإنما اقتصر في التعليل على إراءة الآيات؛ لأن تلك العلة أعلق بتكريم المسرى به، والعناية بشأنه، لأن إراءة الآيات تزيد يقين الرائي بوجودها الحاصل من قبل الرؤية. (35)





ومعنى كلام ابن عاشور أن الله أراد أن يُريَ رسوله صلى الله عليه وسلم من آياته الكبرى، ما يثبت به فؤاده، ويزيد به يقينه، وينقله من حالة علم اليقين إلى حالة عين اليقين، بل إلى حالة حق اليقين. وذلك أن لليقين ثلاث درجات:

الأولى: علم اليقين.

الثانية: عين اليقين.

الثالثة: حق اليقين.

فنحن نعلم بوجود الجنة علم اليقين، لكن إذا شاهدنا الجنة، أصبح علمنا بها عين اليقين، فإذا تناولنا قطفا من عنبها وصلنا إلى مرحلة حق اليقين، وهي أعلى درجات اليقين. ولماذا حق اليقين؟

إذا كانت الآية بينت لنا أن كشف بعض الآيات للنبي صلى الله عليه وسلم المقصد الأعظم من المسرى، إلا أنها لم تسعفنا عن سبب هذا الكشف؟ أي لماذا أراد الله أن ينقل نبيه صلى الله عليه وسلم إلى حالة حق اليقين؟

لكن إجابة النظر في كتاب الله عز وجل تكشف لنا عن السبب من وراء ذلك.

لقد حدّثنا القرآن عن شاب يسير بين جنبات صحراء موحشة في ليلة شاتية مطيرة، شديدة الرياح، يسير هو وزوجته عائداً إلى موطنه الذي غادره منذ عشر سنوات. فضّل هذا الشاب الطريق، فأراد أن يوقد ناراً يستدفئ بها ويستهدي بنورها معالم الطريق، فجعل كلما يقده الزناد ينطفئ بفعل الرياح والمطر.

وفجأة يبصر من بعيد ناراً، فيقول لأهله: ﴿امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمُ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى * وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى * قَالَ أَلْقِهَا يَامُوسَى *





فَالْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى * وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى * لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿ (سورة طه: 10 - 24).

لقد كانت كل مشكلة موسى أن يجد نارا تدفئه هو وأهله، وتهديه طريق العودة، إنها هموم صغيرة، ومشكلات أسرية ضيقة، لم يكن يعلم أنه على موعد سيغير مسار حياته ويوسع آفاق حياته، لتتحول همومه الأسرية إلى هموم قومية كبرى، ليحمل رسالة ربه لاستتقاذ بني إسرائيل من فرعون الذي وصفه الله بقوله: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (يونس: 83).

لكن، هل يمكن لهذه النقلة أن تتم هكذا دون أن يحصل موسى على جرعة من اليقين تثبت فؤاده أمام جبروت فرعون؟ بالطبع لا.

لذلك أراه ربه آية تلو الآية، من الآيات التي تدل على قدرة الله وأن أزمّة الأمور كلها بيده، وأن فرعون وملاه وحاشيته مقهورون بقوة الله عز وجل وقدرته.

لكن هذا الكشف من الله لموسى بهذه الآيات لم يكن لإثارة إعجابه وفقط، إنه إعداد وتربية، ولذلك تقول الآيات: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ (طه: 23) بعدها مباشرة: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (طه: 24).

وكذلك نجد القرآن يحدثنا عن سيدنا إبراهيم: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (الأنعام: 75).

فلم يكن الكشف لإبراهيم عن ملكوت السماوات والأرض عبثاً، ولا تسليّة، ولا لمتعة المشاهدة؛ ولكنه كان " لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ".

وبهذا نعرف أن المقصد من وراء الإسراء والمعراج: رؤية الآيات، والمقصد من وراء رؤية الآيات، أن يري الله رسوله من آياته الكبرى توطئة لمرحلة المجابهة القادمة، التي ستشأ مع ولادة الدولة الجديدة في المدينة.





فلئن كان النبي صلى الله عليه وسلم، يعاديه كفار مكة اليوم، فإنه تنتظره صلى الله عليه وسلم في قابل الأيام عداوات أشرس وأكبر، سيعاديه اليهود في المدينة، وستنشأ على ضفاف دولة الإيمان مجموعات من المنافقين يظهرون مناصرته ويستبطنون عداوته، ويعملون في الخفاء على التخلص منه ومن دينه، ثم سيعاديه الفرس والروم.

نعم كان يوم الطائف دامياً وقاسياً، لكنه ليس آخر أيام الشدة في حياته صلى الله عليه وسلم، فلم تكن أيامه صلى الله عليه وسلم إلا سلسلة من الابتلاءات القاسية المتواصلة التي يؤمر فيها بالنصب بعد الفراغ ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ (الشرح: 7) حتى يلقي الله عز وجل.

ثانياً: المقاصد التبعية من حادثة الإسراء والمعراج

لا خلاف أن رحلة الإسراء والمعراج وقعت في خضم أحداث اشتد وقعها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان لهذه الرحلة مقدمات كثيرة كانت بمثابة تهيئة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ليقبل على هذه الرحلة مستشعراً حاجته وحاجة الأمة كلها لها، كما كان لهذه الرحلة مغازٍ ومقاصد أراد الله عز وجل أن تصل إلى نبينا الكريم، وإلى عقولنا وقلوبنا جميعاً؛ لنذكرها ونتبعها، ونسير على هداها.

1. حماية داخلية وحماية خارجية

كان محمد صلى الله عليه وسلم في حاجة إلى أن يُحمى حمايتين ماديتين قيصهما له الله عز وجل: حماية خارجية وحماية داخلية. أما الحماية الخارجية فتمثلت في عمه أبي طالب، الذي كان يحميه من أذى المشركين، وكان عدم إسلام أبي طالب سبباً لمجاملة الكفار له، وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلته يحميه.

أما الحماية الداخلية في ساعة راحته وسكونه وهدوئه في البيت، فتمثلت في السيدة خديجة رضي الله عنها، فكانت السكن الذي يلجأ إليه رسول الله في البيت، فتمسح بيد الحنان والعطف، وبيد الرعاية على متاعبه من حركة الحياة التي يحيهاها.



وبذلك هيا المولى عز وجل لحماية النبي صلى الله عليه وسلم ولنصرته ولمؤازرته مصدرًا إيمانياً في البيت، ومصدرًا غير إيماني في الخارج، فحين يكون هذان المصدران بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون حياته في الخارج مكفولة الحماية بسبب عمه، وفي الداخل مكفولة الأمن والاطمئنان والاستقرار والهدوء بواسطة زوجته الحنون.

ولكن الله عز وجل شاء أن تموت زوجته خديجة في نفس العام الذي يموت فيه عمه أبو طالب، العام العاشر من بعثته صلى الله عليه وسلم، وهنا يفقد رسول الله صلى الله عليه وسلم السكن الذي كان يأوي إلى حنانه وعطفه، كما فقد الحماية الخارجية.

البحث عن آفاق جديدة

مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم تمامًا أن الله عز وجل لا يسلمه ولا يتخلى عنه، إلا أنه مع ذلك أخذ يُعمل فكره وبصيرته، ويخطط لينطلق بالدعوة بالأسباب التي يقدر عليها، فما كان منه في هذا الجو الخانق بمكة إلا أن يلتبس منطلقًا للدعوة لعله يجد نصيرًا خارجيًا، فقام برحلته إلى الطائف. وتبعد الطائف عن مكة نحو ستين ميلا، قطعها النبي صلى الله عليه وسلم ماشيًا على قدميه، ذهابًا وإيابًا، ومعه مولاه زيد بن حارثة، وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام، فلم تستجب إليه واحدة منها .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحدًا من أشrafهم ورؤسائهم إلا جاءه وكلّمه فرفضوا جميعًا دعوته، واستهزؤوا به صلى الله عليه وسلم.

لم يكتف أهل الطائف برفض دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وطرده من بلادهم، بل أغروا به سفهاءهم، فلما أراد الخروج تبعه السفهاء والعبيد يسبّونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس فوققوا له صفين، وجعلوا يرمونه بالحجارة، وبكلمات سفية، ورجموا قدميه الشريفتين بالحجارة، حتى اختضب نعلاه بالدماء، وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه جرح كبير في رأسه.





ذهب صلى الله عليه وسلم إلى الطائف معتقداً أنه سيجد النصير، ولكنه وجد خلاف ما اعتقد، فوقف موقفه الضارع إلى الله سبحانه وتعالى بعد أن فقد أسباب البشر، وتوجه إلى الله عز وجل قائلاً: "اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكَلَّمْتُ؟، إِلَى بَعِيدٍ يَجْهَمُنِي، أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَكَتْهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْ يَجِلَّ عَلَيَّ غَضَبُكَ، أَوْ أَنْ يَنْزِلَ بِي سَخَطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ". (36)

دعاء فيه كل مقومات الإيمان واليقين، ودعاء يعني أنه صلى الله عليه وسلم قد استنفد الأسباب، وأنه لم يجد إلا عدوًّا أو بعيداً، فلا بد إذن أن تتدخل السماء.

سمع الله عز وجل ضراعة رسوله، فأراد أن يثبت فؤاده، ويبين له أن جفاء الأرض له لا يعني أن السماء قد تخلت عنه، وأنه سبحانه وتعالى سيعوضه عن جفاء الأرض بحفاوة السماء، وعن جفاء عالم الناس بعالم الملأ الأعلى، فيريه من آياته، ومن قدرته، ومن أسرارهِ في كونه، ما يعطيه طاقة وشحنة إيمانية، تزيد يقينه بأن الله عز وجل الذي أراه هذا كله قادر على نصرته، وأنه لن يتخلى عنه، ولكن الله تركه للأسباب أولاً؛ ليجتهد فيها، حتى يكون صلى الله عليه وسلم أسوة لأمته في عدم ترك الأسباب مع رفع أيديها إلى السماء، وكانت هذه الرحلة المباركة.

2. الربط بين العقائد والمقدسات

ولعل من دواعي هذه الرحلة المباركة أنه لم يكن هناك مكان أجل وأقدس من سدرة المنتهى، وبالقرب من عرش الرحمن عز وجل؛ ليفرض الله سبحانه وتعالى على المسلمين فيه هذه الفريضة العظمى؛ ليغرس في نفوس المسلمين مكانة الصلاة وأهميتها، وكونها معراجاً لكل المسلمين، يعرجون فيه خمس مرات في اليوم إلى ربهم عز وجل، كما عرج إليه نبيهم صلى الله عليه وسلم من قبل.

36- رواه الطبراني، قال في الزوائد (35/6): وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات، وانظر ضعيف الجامع للألباني (1182).





إن تقدير الله عز وجل لأن تكون رحلة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، لا يخلو من حكمة عظيمة وإشارة بليغة، فهذا المسار المخطط من قبل الله عز وجل قد ربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- إلى محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، كما يربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعاً، وكأنما أريد بهذه الرحلة الكبرى إعلان وراثة الرسول الأخير لمقدسات الرسل قبله، واشتغال رسالته على هذه المقدسات، واحتضانها لها، وحمايتها لها، وارتباط هذه الرسالة بتلك الأماكن جميعاً، فتصبح هذه الأماكن جزءاً لا يتجزأ من الرسالة الخاتمة، ولا يحق لأحد أن ينكر على أصحاب هذه الرسالة اهتمامهم بتلك الأماكن، والمطالبة بحقوقهم فيها، والدفاع عنها ضد أي اعتداء.

3. اختبار وتنقية للصف المؤمن

لم تَحُلْ هذه الرحلة أيضاً من مغزى آخر، وهو أن الله عز وجل أراد أن يبلو ويختبر المؤمنين مع النبي صلى الله عليه وسلم، فيرى مدى صدق إيمانهم، ومدى ثبات عقيدتهم، عندما يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم أخبار هذه الرحلة التي لا يتصورها عقل في هذه الحقبة من الزمن، هل سيثبتون على تصديقه صلى الله عليه وسلم، أم ستتخلخل عقيدتهم، وينهار إيمانهم.

ولذا لم يسمع النبي صلى الله عليه وسلم لتخوُّف أم هانئ -رضي الله عنها- من تكذيب القوم له بسبب غرابة الواقعة، ولم يدفعه ذلك لكتمان أمر هذه الرحلة، فإن ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم بالحق الذي جاء به، والحق الذي وقع له، جعلته يصارح القوم بما رأى، كائنًا ما كان رأيهم فيه.

وقد بادر كثير من المؤمنين بتصديق النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخبر، واهتزت قلوب بعض منهم، فارتدوا عن الإسلام بالفعل، واتخذها بعضهم مادة للسخرية والتشكيك، ولكن هذا كله لم يكن ليُقْعِدَ الرسول صلى الله عليه وسلم عن الجهر بالحق الذي آمن به، وفي هذا مثل لأصحاب الدعوة أن يجهروا بالحق، ولا يخشون وقعه في





نفوس الناس، ولا يتحسسون مواضع الرضا والاستحسان عند هؤلاء الناس، إذا تعارضت مع كلمة الحق.

كان الإسراء والمعراج مواساة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما توالى عليه شدائد الأحداث وقسوتها، جاء الإسراء بعد هذه الشدائد ليمسح أحزانها جميعاً، وينقل الرسول إلى عالم أرحب، وأفق أقدس وأطهر، فلئن مات أبو طالب، وانتقلت خديجة إلى جوار الله عز وجل، فإن الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعين الله يحوطه ويرعاه، يحرسه ويصونه، ولئن ضاقت سبل الأرض، وسدت أبوابها، فهذه آفاق السماء مفتحة، وأبوابها مشرعة، وطريق ولوجها سهلة، فما ودعه ربه، وما قللاه، ولا هجره، ولا جفاه، وإنه بعين المشيئة تتولاه بالنصر والتأييد.

ولئن بُعث كل نبي إلى قومه خاصة، فإنه المبعوث رحمة للعالمين كافة، والوارث لكل ما سبقه من الأديان، يكمل مكارمها، ويقوم ما حرفت أيدي البغي من تعاليمها، ويرد للدين فطرتها، وللإنسانية كرامتها، ويصلح الملة العوجاء، وينشر الحنيفية السمحة، والناس لدينه تبع.

ولعل هذا كان من أسرار مسراه صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى المبارك، قلب الأرض المقدسة، التي أسكنها الله عز وجل بني إسرائيل ثم أخرجهم منها.

يقول صاحب الظلال -رحمه الله-: والرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى رحلة مختارة من اللطيف الخبير، تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، إلى محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، وتربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعاً، وكأنما أريد بهذه الرحلة العجيبة إعلان وراثة الرسول الأخير لمقدسات الرسل قبله، واشتغال رسالته على هذه المقدسات، وارتباط رسالته بها جميعاً، فهي رحلة ترمز إلى أبعد من حدود الزمان والمكان، وتشمل آماداً وآفاقاً أوسع من الزمان والمكان، وتتضمن معاني أكبر من المعاني القريبة التي تتكشف عنها للنظرة الأولى.



الإسراء والمعراج .. اجتهادات فقهية

تحمل ذكرى معجزتي ”الإسراء والمعراج“ دلالات واسعة في حياة الأمة، وعلاقتها بالأمم الأخرى، وهو من قبيل التكييف السياسي، أو ما يسميه الفقهاء السياسية الشرعية.

قيادة شاملة

والحديث حول تحول قيادة العالم من أمة موسى - عليه السلام - إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وما يتبع هذا من حمل أمانة الإنسانية، وما يتبع هذا من إدراك فقه القيادة المسلمة، وما يتبع ذلك من أحكام فقهية لم يتطرق إليها الفقهاء، لأجل الاستضعاف، تلك القيادة التي لا يشترط أن تقف عند حد القيادة السياسية، ولكن الله تعالى حين وهب القيادة للأمة، فإنه ما نص أن تكون القيادة سياسية، بل هي سياسة دينية واجتماعية في المقام الأول، فهي قيادة توجيه وإرشاد، وليست قيادة حكم وتسلط، ولهذا ليس من الحكمة أن نقول: إن قيادة الأمة قد ماتت وهي في حالة هزال أو سكر أخلاقي وسياسي واجتماعي، بل من الحكمة أن نحیی جوانب من حياة الأمة وألا نميته لأجل موات جانب واحد، ومع إدراكي بالتشابك بين الجوانب المتعددة في تاريخ الحضارات والأمم، فإنه ليس من الحكمة أن نحكم على الجسد بالموت لأجل مرض في العين أو الرأس، بل العقل يقول: نعالج تلك الأمراض ونبقي الصحيح على صحته، مع تأثره بالمرض.

إن مقومات الأمة الإسلامية ما زالت باقية ولن تزول، ولكن تفعيلها والأخذ بها هو الذي يظهرها، أو أن نشعر بانضمامنا فنقعد في بيوتنا لندع غيرنا ينظم لنا هيكل حياتنا، والخطوط التي يمكن أن نسير فيها، والمناطق التي يحظر علينا الاقتراب منها، ووضع السياسة العامة في شئون الدين والحياة، لا أن نكون تابعين فحسب، ولكن لنكون أشبه بالعبيد، لا لله رب العالمين.

الانضمام الحضاري والفقهی

إن الانضمام الحضاري يضر بالأحكام الفقهية، ويجعل دفعة الاجتهاد ليست متجهة





إلى تطبيق النصوص والمصالح الشرعية، بقدر ما أنها تتجه إلى إيجاد رخص، أو يكون لفقه الاستضعاف أثر في الفتوى، بحكم تباين الفتوى باختلاف الزمان والمكان، فخرجت بعض الفتاوى بقبول استقدام جنود احتلال على هيئة دفاع أجني لتوهم احتلال دولة مسلمة لدولة مسلمة أخرى، متناسين هؤلاء الفقهاء أن فقه النص وحده لا يكفي، بل يجب النظر إلى المقاصد، وأن العبرة في العقود والمعاملات بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني، فالقول بجواز مجيء قوى تابعة لدول عظمى يعني الاحتلال بشكل مختلف، ولسنا من الغباء أن نفهم الاحتلال على أنه احتلال بالمعنى التقليدي، ولو انتفع الفقهاء بمقاصد الإسراء والمعراج لكان دليلاً على عدم جواز مثل هذه الفتاوى التي أضرت بالبلاد والعباد، مع الانتفاع بالنصوص الشرعية الواردة في المسألة، ولتكون مقاصد الإسراء والمعراج من أسباب ترجيح بعض الآراء على الآراء الأخرى.

قيادة شعبية

إن مقاصد الإسراء والمعراج تعني أن تعي الأمة شعوباً وعلماء قبل الحكام مقتضيات فقه المعجزة، من الواجبات الشرعية الملقاة على عاتق الأمة تجاه الإنسانية دون النظر إلى ما تحت الأقدام في بلادنا، ليكون العمل في الخارج والداخل هو إحدى سمات الأمة في سيرها في طريق الإصلاح.

كما أن من فقه الإسراء والمعراج أن تعرج الأمة عن السفساف في تعاملاتها فيما بينها، وعن سفسافها في التعامل مع الآخر، فلا يكون مجرد اختلاف العقيدة مانعاً من التعاون على البر والتقوى، وأن نفرق بين ما هو إسلامي خالص، وما هو إسلامي إنساني، وأن نفرق بين الاختلاف والعداء، وبين العداء والاعتداء، لتتم الرحمة الإنسانية التي خاطب بها ربنا رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: 107).

قيادة إنسانية

إن اجتماع الرسل للنبي صلى الله عليه وسلم فقه منه الكثير معنى قيادة النبي صلى الله عليه وسلم للأنبياء، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وإنني أفهم من اجتماع الرسل





للأنبياء أن تسعى أمته لجمع العالمين على المبادئ الإسلامية السمحة، مما ينتج عن هذا آثار فقهية من احترام الغير وعدم الاعتداء عليه، وجواز التعامل معه، كقواعد أصيلة، ويبقى درء الاعتداء المتصور في الجهاد ليس أصلاً في المعاملة، وإنما هو رفع للظلم الذي حرمه الله تعالى على نفسه، كما حرمه على خلقه، ولرد الظالم عن ظلمه ليس إلا، ليكون الاعتداء على غير المسلمين بلا عدوان خارجاً عن منهج الفقه، وفقه الإسراء والمعراج.

إحياء فقه المقاصد

وإن من فقه الإسراء والمعراج إحياء روح العبادة، وعدم الوقوف عند الصور وحدها، بل يجب أن تتعدى ذلك إلى تحقيق المقاصد، وفي ذلك إشارة إلى وجوب اهتمام العلماء لفقه المقاصد، وعدم الوقوف عند الشروط وحدها، فإن العبادات والمعاملات لها شروط للوجوب، وشروط للصحة، وفي ذات الوقت لها مقاصد تبتغى من ورائها، والمقاصد مقصودة لذاتها، أما الشروط فهي كالحارس والمعين لتحقيق المقاصد، ولهذا فقد ذهب من أهل العلم إلى أن الخشوع في الصلاة ركن من أركانها، وهذا يعني أن يحيي الفقهاء منهج بيان الحكم الشرعي ومعه الإرشاد للالتزام بخطاب الله تعالى لعباده المكلفين.

ثورة الاتصالات والمواصلات

وفي فقه الإسراء والمعراج وانتقال الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى فلسطين، وعروجه من الأرض لسدرة المنتهى ماراً بالسموات العلا، ورجوعه وإحضار جبريل عليه السلام لصورة للمسجد الأقصى، فيه انتفاع بوسائل الاتصال الحديثة وتفعيلها كي تقوم بدور في تبليغ التشريع والأحكام، وأن الوسائل تأخذ حكم المقاصد، وأن نحكم بالوسيلة بحكم غاياتها، فلا يفتى بحرمة مشاهدة التلفاز أو الفضائيات أو غيرها، فقد وجدت إشارات لها منذ زمن النبوة قبل أن يعرف الناس ثورة الاتصالات بمئات السنين.

وبناء على ذلك فإننا بحاجة إلى أعمال فكر وعقل، وسعي نحو إخراج سمات منهجية فقهية حضارية من الإسراء والمعراج، وستبقى تلك الذكرى مصدر تجديد للأمة، ونبعا





لتجديد خطابها وسعيها الحضاري والفقهي.

المطلب الرابع: هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة

حين أضاء كل شيء

كان ذلك قبل أربعة عقود وأربعة قرون وألف عام، والناس على مشارف المدينة وقفوا .. يستشرفون طلعتة البهية وينتظرون مقدمه الميمون، كانوا يخرجون كل يوم من حين سماعهم بخروجه من مكة مهاجرين إلى المدينة .. يصلون صلاة الصبح ثم يخرجون إلى "حرّة" المدينة الجنوبية ويقفون مشربّي الأعناق، والهي، القلوب ولا يبرحون حتى تغلبهم الشمس على الظلال فيرجعون إلى بيوتهم وفي صدورهم من الشوق مثل ما في رمضاء "الحرّة"!

إنها الأنصار تنتظر ضيفها الذي عاهدت الله على نصرته ومؤازرته ليبلغ نور الله ما بلغ الليل والنهار.

وعلى رمال صحراء الحجاز سارت ناقتان قطعتا الفيافي من مكة إلى المدينة على مدى أيام شهدت حوادث عجيبة وأوقاتاً عصيبة، ناقتان اختارهما صاحب الصديق عليه رضوان الله، تحمل الأولى أفضل رسل الله، والثانية تحمل أفضل الناس بعد رسل الله، وصلتا مشارف المدينة تحملان السعد والفلاح لهذه المدينة الصغيرة التي تحفها أشجار النخيل وتحوطها الجبال ويسكنها الأوس والخزرج ابنا قبيلة ويجاورهم اليهود.

وصلت الناقتان اللتان حملتا خير اثنين على وجه الأرض حينئذ، فاشرقت وجوه أهل المدينة صغارهم وكبارهم بالنور الذي أرسله الله ليضيء الدنيا.

تقتصر الكلمات وتتطامن الحروف عن وصف الفرح الذي تلاً في العيون ونبض في القلوب وتلغثم على الشفاه، لا تستطيع الحروف وإن تزينت أن تصف البهجة والسعادة التي كانت بحجم الكون.



تلقى الأنصار نبي الهدى بالحفاوة والإجلال، استقبلوه استقبال الرجال الذي صدقوا ما عهدوا الله عليه، كانوا متقلّدي السيوف، ومتشّحين بالفداء والوفاء، واحتفوا برسول الله عليه الصلاة والسلام وفخرًا ونصرة وجذلًا .

دخل رسول الله -صلى عليه الله- المدينة الشريفة ضحى يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول وهو أول يوم من الهجرة النبوية، ذلك اليوم الذي اختاره الفاروق عمر منطلقًا لتأريخ أيام المسلمين.

دخل المصطفى عليه الصلاة والسلام المدينة وحينها أضاء كل شيء فيها كما قال ابن المدينة أنس ابن مالك رضي الله عنه، وغدت هذه المدينة سيدة الدنيا ومأرز الإيمان ومعقل الإسلام وعاصمة المسلمين الأولى.

وأقام عليه الصلاة والسلام عند بني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة وبنى مسجد قباء وهو المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، وهو أول مسجد بُني في الإسلام.

ثم ارتحل من قباء راكبًا راحلته وقد أرخى لها الزمام، فسارت القصواء في دروب المدينة يهديها ربها إلى مبركها حيث يسكن النبي عليه الصلاة والسلام، وتسابق المسلمون للظفر بشرف استضافة أشرف الخلق والفوز بفضل القرب منه، وكان كلما حاذى دارًا من دور الأنصار تلقوه بالترحاب وقالوا: هلم يا رسول الله! إلى العدد والعدة والمنعة، ولزموا بزمام ناقته، فيقول لهم: "خلوا سبيلها فإنها مأمورة"، وقد أرخى لها زمامها وهي تنظر يمينًا وشمالًا، والناس كنفٍها حتى بركت على باب أبي أيوب الأنصاري -رضي الله عنه- وهو أحد بني النجار ثم سارت وبركت مبركها الأول وألقت جرانها (باطن العنق) بالأرض وأرزمت (صوّتت)، فنزل ضيف المدينة وسيدها صلى الله عليه وسلم وقال: "هذا هو المنزل إن شاء الله تعالى"، واحتمل أبو أيوب رحله وأدخله بيته.⁽³⁷⁾

حمل أبو أيوب المجد من أطرافه والشرف على أكتافه، حمل السعادة والبركة إلى منزله ، إنه يستضيف رسول الله في بيته، ويألها من منزلة وشرف، أي شرف !

37- أخرجه ابن سعد في الطبقات (183/1)، والبيهقي في دلائل النبوة (498/2).





وأول عمل قام به النبي عليه الصلاة والسلام بعد مسكنه المدينة بناء المسجد، وتنافس المؤمنون في تشييد المسجد النبوي الشريف ابتداءً من بذل الأرض وحمل الحجارة واللبن، وكان رسول الهدى عليه الصلاة والسلام ينقل اللبن مع أصحابه ويرتجز معهم:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة

فاغفر للأنصار والمهاجرة

وبعد أن تم بناء المسجد النبوي الشريف بُني لرسول الله صلى الله عليه وسلم حوله حُجْرٌ - غرف - لتكون مساكن له ولأهله، وكانت مساكن قصيرة البناء قريبة الفناء .

وكان المسجد محراب الصلاة، ومركزاً للإمارة، ومدرسة التعليم، وساحةً لعقد ألوية الحق، ومجلساً للقضاء، وصرحاً لقيم الحق والخير والجمال .

وكانت بيوت النبي منائر تتلى فيها آيات الله وتتدارس فيها الحكمة ، ومن هذه البقعة الشريفة في قلب المدينة أشرق النور على أرض الله .

مظاهر النصر في الهجرة النبوية

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مستخفياً من القوة الباطشة بمكة، تاركاً هو وأصحابه ديارهم وأموالهم وممتلكاتهم، وسمّى الله عز وجل هذا الخروج نصراً، فقال: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ (التوبة: 40) فكيف يكون الخروج على هذا الوجه انتصاراً!

أولاً - الهجرة كانت إنقاذاً من قتل محقق

إن الهجرة كانت إنقاذاً من قتل محقق، فقد اتخذت قريش قرارها بأن تُجهز على هذه الدعوة الوليدة وعلى أتباعها واحداً تلو الآخر .

فلم يكن أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا خياران:

الخيار الأول: أن يبقى هو وصحابته في مكة، تتصيدهم قريش واحداً تلو الآخر، حتى



يفنوا جميعاً، تأخذهم كما يأخذ الإعصار القاصف أعجاز النخل الخاوية. ومن المهم هنا أن نستحضر شيئاً قد يغيب عن البال، وهو أن هذا المصير كان محتوماً لو بقوا في مكة لسببين اثنين:

السبب الأول: انعدام التكافؤ، فمع قريش العدد والعدة والنفوذ والسلطان والإعلام، وكل أسباب القوى المادية الأرضية، وليس مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها شيء، فلا عدد ولا عدة ولا إعلام ولا سلطان ولا مال. فكانت المواجهة ليست إلا قراراً بالانتحار.

السبب الثاني: لأن القوم كانوا مكفوفين عن الجهاد في مكة، فلم يكونوا بعد قد أمروا بالجهاد، حتى جهاد الدفع، فكانت هذه هي المرحلة التي قال الله عز وجل فيها: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (النساء: 77) حتى شرع الله عز وجل لهم الجهاد بعد في قوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ (الحج: 39-40). وقال فيها: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى: 43)؛ حيث الكف والإعراض والصَّفَح.

ثانياً - الهجرة كانت احتفاظاً للقوة النامية

الخيار الثاني: التفكير في حلٍّ، يمكن معه الاحتفاظ بهذه القوة النامية بعيداً عن قوة البطش حتى يشتد إزارها، ويقوى أوارها فتتكافأ القوى أو تتقارب. فكانت الهجرة، حيث الاحتفاظ بهذه القوة بعيداً عن أماكن نفوذ قريش، هناك في المدينة، حيث كان صلى الله عليه وسلم قد مهد مع الأنصار على أن ينصروه ويمنعوه من أي عدو يتهددهم.

فلم يكن يوم الهجرة إلا يوماً من أيام النصر والعزة في الإسلام، ولم لا يكون كذلك؟ وهو اليوم الذي بدأت فيه الخطوة الأولى لبناء دولة الإسلام، والخطة الكبرى لاستتقاذ الجماعة المؤمنة، ريثما تشب وتقوى فتعود فتية صلبة، تفتح القلوب، وتستتقد الحق المسلوب، وتتوالى في انتصاراتها هادرة الأمواج، قوية الانطلاق، قاهرة الردع، سريعة الحركة، جياشة المد، فوارة الاندفاع، عظيمة المنح والعطاء.





إن عمر الفارق الملهم قد لَمَحَ ببصيرته هذا المعنى الكبير في يوم الهجرة فجعله مُفَتِّحَ تاريخ الإسلام، وليس معقولاً أن يبدأ تاريخ المسلمين بيوم انهزم فيه الإسلام.

ولقد أدركت قريش هذا المعنى في الهجرة، فاجتمعت لتمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الهجرة إلى أنصاره حيث القوة والمنعة والإيمان والفداء والتضحية والبطولة وصدق الإخلاص للدعوة، فعرفوا أنهم مأكولون بسيوف المهاجرين والأنصار، يعضغونهم كما تمضغ الرحي هري الطحين لو أن محمداً وصل إليهم، وأمسك بيده زمام قيادهم، وأحكم بسياسته نظام مجتمعتهم القوي الرهيب.

لقد كان يوماً تلته أيام، فقد كان بعده بدر، وحمراء الأسد، وفتح مكة، وغيره من أيام لم تكن تتحقق إلا بادخار هذه الفئة المؤمنة. لقد كان الإسلام في هذه الفترة من تاريخ الدعوة، كان يتطلب أن يعيش له وأن يحيا من أجله كل فرد من أبنائه، فضلاً عن الرجل الأول فيه محمد صلى الله عليه وسلم. كان الإسلام يفرض عليهم أن يعيشوا من أجله حتى يكونوا له على ظهر الأرض أمة راسخة البناء، ودولة سامقة اللواء. فإذا استقامت للدين الجديد أمته ودولته، سُفِكَت لحياطتها الدماء، وقُدِّمَ للدفاع عنها الفداء!!

لقد كانت حياة كل مسلم قذى في عين الكفر والكافرين، فضلاً عن حياة المسلم الأول صلى الله عليه وسلم. إذن فليمسك المسلمون بحياتهم حتى يغرسوا نبت التوحيد في أرض الجزيرة وفيما حولها، ولا عليهم بعد إذ غرسوه أن يرووه بدمائهم.⁽³⁸⁾

ثالثاً - مواجهة الباطل وتحديد الزمان

إن مبدأ الهجرة في هذا السياق يعلمنا أن مواجهة الباطل ليست مطلوبة في كل وقت، بل تكون مطلوبة حيث كانت المواجهة في صالح الحق، وإلا فالصبر والكمون حتى يتجهز أصحاب الحق للمواجهة، وإلا كانت نوعاً من الانتحار.

إن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، كانت فراراً من موت ليس معه فائدة للمسلمين، فكيف يكون الموت حينئذٍ مكرمة؛ ولذلك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم

38- تأملات في الدين والحياة للشيخ محمد الغزالي (76)



هو الذي حافظ على هذه الرقاب من تلك الميثة الرخيصة، وهو نفسه الذي جمعهم صلى الله عليه وسلم من بعد على جبهات القتال، واستحثهم للهجوم والصمود، واستهزئهم للثبات حتى الممات، فكان يقول لهم في بدر مثلاً: "لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة". (39) نعم، الآن تسفك الدماء حيث يكون سفكها مظنة للنصر، فحينئذ يكون الموت شهادة في سبيل الله.

كما تعلمنا الهجرة أن أصحاب الحق ليس لهم عند الله عهد أن ينصرهم في مواجهة الباطل على أي حال كانوا عليه من الضعف في العدد والعدة، فإن الأمر لو كان كذلك لنصر الله نبيه على أعدائه في مكة دون حاجة إلى الهجرة، بل لا بد من الإعداد الذي أمر به الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: 60)

المطلب الخامس: تأسيس المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة

ما إن وصل النبي المدينة في ضحى يوم الاثنين، الموافق (12 من ربيع الأول للسنة الأولى من الهجرة = 24 سبتمبر 622م) حتى بدأ العمل الجاد، والسعي الدؤوب، حتى أكمل رسالته على نحو لا مثيل له في تاريخ الإنسانية. فكيف غير تاريخ الهجرة النبوية مجرى التاريخ؟

ولم تكن يثرب عندما نزلها النبي صلى الله عليه وسلم مدينة بالمعنى المعروف، وإنما كانت واحات متفرقة في سهل فسيح يسكنها قبائل الأوس والخزرج والجماعات اليهودية، فنظّم العمران بالمدينة، وشق بها طرقاً معبّدة، وكان المسجد هو الأساس في هذا التنظيم، انتظم حوله عمران المدينة الجديدة، واتسقت شوارعها.

وكان هذا المسجد هو مقر الرئاسة الذي تقام فيه الصلاة، وتُبرم فيه كل الأمور، وتُعقد به مجالس التشاور للحرب والسلم واستقبال الوفود، وبجوار المسجد اتخذ النبي



مساكنه، وكانت متصلة بالمسجد، بحيث يخرج منها إلى صلاته مباشرة، وأصبح من السُّنة أن تُبنى المساجد وبجوارها بيوت الولاة ودواوين الحكم.

ثم أصلح النبي ما بين الأوس والخزرج وأزال ما بينهما من عداوة، وجمعهما في اسم واحد هو الأنصار، ثم آخى بينهم وبين المهاجرين على أساس أن المؤمنين إخوة، وكانت المرة الأولى التي يعرف فيها العرب شيئاً يسمى الأخوة، دون قرابة أو صلة رحم، حيث جعل كل رجل من المهاجرين يواخي رجلاً من الأنصار، فيصير الرجلان أخوين، بينهما من الروابط ما بين الأخوين من قرابة الدم.

وبعد المؤاخاة كانت الصحيفة، وهي الدستور الذي وضعه النبي صلى الله عليه وسلم لتنظيم الحياة في المدينة، وتحديد العلاقات بينها وبين جيرانها، هذه الوثيقة لم يُملها النبي صلى الله عليه وسلم إماماً، وإنما كانت ثمرة مناقشات ومشاورات بينه وبين أصحابه من المهاجرين والأنصار وغيرهم، وكلما استقروا على مبدأ قام الرسول بإملاء نصه على علي بن أبي طالب، وشيئاً فشيئاً اكتملت الوثيقة، وأصبحت دستوراً للجماعة الجديدة، ولا يكاد يُعرف من قبل دولة قامت منذ إنشائها على أساس دستور مكتوب غير هذه الدولة الإسلامية الجديدة، فإنما تقام الدول أولاً، ثم يتطور أمرها إلى وضع دستور.

وأدت هذه السياسة الحكيمة إلى قيام جماعة متألّفة متحابّة، وإلى ازدياد عدد سكان المدينة حتى زاد عدد سكانها عما كانوا عليه أكثر من خمس مرات، بعد أن أقبل الناس على سكناها؛ طلباً للأمن والعدل في ظل الإسلام، والتماساً لبركة مجاورة النبي صلى الله عليه وسلم، واستجابة لما دعا إليه القرآن من الهجرة إلى الله وإلى رسوله.

وقد اشتملت هذه الوثيقة على بنود تاريخية وأحكام شرعية تأسيسية في فهم المواطنة والمعاهدة بين أبناء قطر واحد، وتبّه إلى معالم قيم الحضارة الإسلامية، ومن ذلك:

1- الأمة الإسلامية فوق القبلية: قال الدستور في ذلك: «إنهم - أي الشعب المسلم - أمة واحدة من دون الناس»⁽⁴⁰⁾. وهذا البند يدعو إلى الاندماج الفعلي بين المسلمون على اختلاف قبائلهم وأنسابهم إلى جماعة الإسلام، فالانتماء للإسلام فوق الانتماء للقبيلة أو



العائلة، وبهذا نقل رسول الله العرب من مستوى القبيلة إلى مستوى الأمة.

- 2- التكافل الاجتماعي بين فصائل الشعب: وفي هذه القيمة كُتبت البنود التالية:
- "المهاجرون من قريش على ربتهم يتعاقلون بينهم وهم يقدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين".
- "وبنو عوف على ربتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين".
- "وبنو ساعدة على ربتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين.. وهكذا".

3- ردع الخائنين للعهود : وفي هذا الحق كُتبت البند التالي: «إن المؤمنين المتقين (أيديهم) على (كل) من بغى منهم أو ابتغى دسيعة»⁽⁴¹⁾ ظلم أو إثماً أو عدواناً أو فساداً بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم»⁽⁴²⁾. وهذا نص في جواز حمل السلاح على أي فصيل من فصائل المدينة إذا اعتدى على المسلمين.. وبموجب هذا النص حُكم بالإعدام على مجرمي قريظة - بعد معركة الأحزاب (في ذي القعدة 5 هـ/ إبريل 627 م) - ، لما تحالفوا مع جيوش الأحزاب الغازية للمدينة، وبغوا وخانوا بقية الفصائل، على الرغم من أنهم أبناء وطن واحد!

4- احترام أمان المسلم: وجاء في هذا الأصل الأخلاقي البند التالي: "وإن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس" .. فلا يمسلم الحق في منح الأمان لأي إنسان، ومن ثم يجب على جميع أفراد الدولة أن تحترم هذا الأمان، وأن تجير من أجاز المسلم، ولو كان المجير أحقرهم. فيُجبر على المسلمين أدناهم، بما في ذلك النساء، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لأم هانئ: "أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتَ يَا أُمَّ هَانِئٍ".⁽⁴³⁾

40- ابن سيد الناس : عيون الأثر 260/1، وابن كثير: السيرة النبوية 2/ 321

41- أي: طلب دقفاً على سبيل الظلم، ويجوز أن يراد بها العطية.

42- ابن سيد الناس : عيون الأثر 260/1، وابن كثير: السيرة النبوية 2/ 321، ابن هشام : السيرة النبوية 1/ 501

43- ابن القيم : زاد المعاد 3/ 108





5- حماية أهل الذمة والأقليات غير الإسلامية: وجاء في هذا الأصل: "وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم". وهو أصل أصيل في رعاية أهل الذمة، والمعاهدين، أو الأقليات غير الإسلامية التي تخضع لسيادة الدولة وسُلطان المسلمين .. فلهم -إذا خضعوا للدولة- حق النصرة على من رامهم أو اعتدى عليهم بغير حق سواء من المسلمين أو من غير المسلمين، من داخل الدولة أو من خارجها ..

6- الأمن الاجتماعي وضمان الديات: وجاء في هذا الأصل: "وإنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول (بالعقل)، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه".

وبهذا أقر الدستور الأمن الاجتماعي، وضمنه بضمان الديات لأهل القتل، وفي ذلك إبطال لعادة الثأر الجاهلية، وبين النص أن على المسلمين أن يكونوا جميعاً ضد المعتدي الظالم حتى يحكم عليه بحكم الشريعة .. "ولا شك أن تطبيق هذا الحكم ينتج عنه استتباب الأمن في المجتمع الإسلامي منذ أن طبق المسلمون هذا الحكم". (44)

7- المرجعية في الحكم إلى الشريعة الإسلامية: وجاء في هذا الأصل: "وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله -عز وجل- وإلى محمد... "وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله، وإلى محمد رسول الله، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره".

8- حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر مكفولة لكل فصائل الشعب: وجاء في هذا الأصل: «وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم نفسه وأثم فإنه لا يوتغ⁽⁴⁵⁾ إلا نفسه وأهل بيته».

9- الدعم المالي للدفاع عن الدولة مسؤولية الجميع: وجاء في هذا الأصل: "وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين".

44- عبد العزيز بن عبد الله الحميدي : التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، 49/3

45- أي: يهلك.



فعلى كل الفصائل بما فيها اليهود أن يدعموا الجيش مالياً وبالعدة والعتاد من أجل الدفاع عن الدولة، فكما أن المدينة وطن لكل الفصائل، كان على هذه الفصائل أن تشترك جميعها في تحمل جميع الأعباء المالية للحرب.

10- الاستقلال المالي لكل طائفة: وجاء في هذا الأصل: "وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم".

فمع وجوب التعاون المالي بين جميع طوائف الدولة لرد أي عدوان خارجي، فإن لكل طائفة استقلالها المالي عن غيرها من الطوائف.

11- وجوب الدفاع المشترك ضد أي عدوان: وجاء في هذا الأصل: "وإن بينهم النصر على من دهم يثرب". "وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة". وفي هذا النص دليل صريح على وجوب الدفاع المشترك، ضد أي عدوان على مبادئ هذه الوثيقة.

12- النصح والبر بين المسلمين وأهل الكتاب: وجاء في هذا الأصل: "وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم"⁽⁴⁶⁾. فالأصل في العلاقة بين جميع طوائف الدولة -مهما اختلفت معتقداتهم- هو النصح المتبادل، والنصيحة التي تتفع البلاد والعباد، والبر والخير والصلة بين هذه الطوائف.

المطلب السادس: وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم

حين أظلم كل شيء

يقول أنس بن مالك: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المَدِينَةَ، أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ وَمَا نَفَضْنَا عَنْ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- الْأَيْدِي حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا.⁽⁴⁷⁾

46- ابن كثير: السيرة النبوية 2/ 323 وابن سيد الناس: عيون الأثر 1/ 262، ابن هشام: السيرة النبوية 1/ 503، السهيلي: الروض الأنف 2/ 345

47- أخرجه أحمد في المسند (330/21)، والترمذي في أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ (3618) وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وإسناده صحيح.





لقد أظلمت المدينة، وأصاب الحزن والهم والكمد كل شيء فيها، لموت الحبيب صلوات الله وسلامه عليه، ولا نقطاع خبر السماء عن الأرض.

كان ابن عباس رضي الله عنهما إذا حدث عن موت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يوم الخميس، وما يوم الخميس! ثم يبكي حتى يبيل دمعته الحصى، فقليل له: يا ابن عباس، ما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه.

إن المصيبة بموت النبي صلى الله عليه وسلم أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم بعده إلى يوم القيامة: فقد انقطع الوحي، وماتت النبوة.

فإذا أتتك مصيبة تشجى بها

فاذكر مصابك بالنبي محمد

قال أبو ذؤيب الهذلي: قدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج أهلوا جميعاً بالإحرام، فقلت: مه؟ فقالوا: قبض رسول الله عليه وسلم.

"كانت الجمادات تتصدع من ألم مفارقة الرسول صلى الله عليه وسلم فكيف بقلوب المؤمنين، لما فقدوه الجذع الذي كان يخطب إليه قبل اتخاذ المنبر حن إليه وصاح كما يصيح الصبي فنزل إليه فاعتقه فجعل يهدي كما يهدي الصبي الذي يسكن عند بكائه فقال: «لو لم أعتقه لحن إلي يوم القيامة»." (48)

كان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال: هذه خشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه..

وكان بلال يؤذن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قبل دفنه فإذا قال: أشهد أن محمداً رسول الله ارتج المسجد بالبكاء والنحيب، فلما دفن ترك بلال الأذان ما أمر عيش من فارق الأحباب خصوصاً من كانت رؤيته حياة الألباب. (49)

48- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب (111).

49- لطائف المعارف (111).



فِي ذِمَّةِ اللَّهِ مَا أَلْقَى وَمَا أَجِدَ
أَهْلُهُ صَخْرَةً أَمْ هَذِهِ كَبِدٌ
قَدْ يَقْتُلُ الْحُزْنَ مَنْ أَحْبَابُهُ بَعْدُوا
عَنْهُ فَكَيْفَ بَمَنْ أَحْبَابُهُ فُقِدُوا

يقول عثمان بن عفان رضي الله عنه: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحزن عليه رجال من أصحابه حتى كان بعضهم يوسوس، فكنت ممن حزن عليه، فبينما أنا جالس في أطام المدينة وقد بويع أبو بكر إذ مر بي عمر فلم أشعر به لما بي من الحزن.. (50)

ذلك أن رسول الله لما توفي طاشت العقول فمن الصحابة من خبل، ومنهم من أقعد ولم يطق القيام، ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام، ومنهم من أضنى وكان عمر رضي الله عنه ممن خبل، وكان عثمان رضي الله عنه ممن أخرس فكان لا يستطيع أن يتكلم، وكان علي رضي الله عنه ممن أقعد فلم يستطع أن يتحرك، وأضنى عبد الله بن أنيس فمات كمداً، وحق له فالمصاب جلل .

المصيبة أذهبت عقول الأشداء من الرجال، وأذهلت ألباب الحكماء منهم، حتى قال عمر: "إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات، لكن ذهب إلى ربه، كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، ووالله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات".

وإذا كان عمر كذلك، فكيف بغيره من الصحابة؟

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أظلمت المدينة، حتى لم ينظر بعضنا إلى بعض، وكان أحدنا يبسط يده فلا يراها .

ولسائل هنا أن يقول: وماذا حدث لأبي بكر الأسيف الرقيق، أشد الخلق حباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقرب الرجال إلى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

50- طبقات ابن سعد (238/2).





أبو بكر الصديق كان بالعوالي من المدينة ولما بلغه النبأ أقبل على فرسه فنزل عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكلم الناس، حتى دخل إلى بيت عائشة حيث مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجده مغطى بثوب، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه، فقبله وبكى، ثم قال: "بأبي أنت وأمي، لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك، فقد متها".

ثم خرج إلى الناس، فوجد عمر في ثورته يتكلم مع الناس، والناس يلتفون حوله يتمنون أن لو كان كلامه حقاً، وبيده السيف يتهدد من يقول إن محمداً صلى الله عليه وسلم قد مات ويحلف فقال له أبو بكر: أيها الحالف على رسلك، ثم قال: أما بعد، فمن كان يعبد محمداً صلى الله عليه وسلم فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. ثم تلا قول الحق سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: 144).

فلما سمع عمر الآية ذهب عنه ما كان فيه وما كان يجد، وكان وقافاً عند كتاب الله، وقد قال رضي الله عنه: "والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فَعَقِرْتُ حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض، حين سمعته تلاها علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات. (51)

قال القرطبي: وهذا أول دليل على كمال شجاعة الصديق رضي الله عنه لأن الشجاعة هي ثبات القلوب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت رسول الله فظهرت عنده شجاعة الصديق وعلمه رضي الله عنه.

ودخل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على أم أيمن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يتفقدانها، فوجداها تبكي، فقال لها أبو بكر: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله، قالت: والله ما أبكي أن لا أكون أعلم ما عند الله خير لرسوله، ولكن أبكي أن الوحي انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان.

وكان بلال رضي الله عنه يؤذن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وقبل دفنه فإذا قال:



أشهد أن محمدا رسول الله ارتج المسجد بالبكاء والنحيب.

ولما دفن قالت فاطمة رضي الله عنها: يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب.

أفاطم إن جزعت فذاك عذر
وإن لم تجزعي ذاك السبيل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت
عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها
تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا
يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه
نفوس الناس أو كادت تسيل

51- أخرجه ابن حبان في صحيحه (587/14) حديث (6620). وله أصل في صحيح البخاري (3667) من حديث عائشة رضي الله عنها.





المبحث الثالث

مصادر التعريف بحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويشتمل هذا المبحث على مطالب آتية:

المطلب الأول: مصنفات ومناهج للتعريف بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم

المطلب الثاني: خمسة كتب معاصرة في السيرة النبوية

المطلب الثالث: لماذا النبي صلى الله عليه وسلم الأكثر تأثيراً في التاريخ؟



المطلب الأول: مصنفات ومناهج للتعريف بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم

غلب على تدوين حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أن تكتب فيما يعرف بـ (السيرة النبوية)، وهي تصنف علمياً ضمن (المغازي والسير)، وذلك لأن المباحث التي دونت فيها تتكلم غالبها عن المغازي والجهاد وعلاقة الرسول صلى الله عليه وسلم بالكفار والمشركين، فتبدأ أحداث السيرة أولاً ببشارات النبوة في الكتب السابقة وإرهاصات الميلاد، ثم ميلاده صلى الله عليه وسلم، ثم طفولته، وتربية جده ثم عمه له، ثم زواجه من خديجة، ثم نزول الوحي، والصراع مع المشركين حتى الهجرة، ثم الأحداث في المدينة يغلب عليها الغزوات ابتداءً من أحد وانتهاءً بفتح مكة، ثم الحديث عن وفاته صلى الله عليه وسلم.

وكثير من الكتب نحت هذا المنحى ابتداءً بسيرة ابن هشام وانتهاءً بما كتبه المعاصرون مثل المباركفوري وسعيد رمضان البوطي ومحمد الغزالي وغيرهم.

وكثير من الكتب التي ترجمت إلى غير العربية ترجمت هذه الكتب، يعني أن صورة محمد صلى الله عليه وسلم إلى غير المسلمين نقلت بهذه الصورة التي يغلب عليها الطابع الحربي والعسكري في غالبها.

على أن هناك صنفاً آخر من الكتب رصد حياة النبي صلى الله عليه وسلم بصورة أفضل، وهي كتب الشمائل المحمدية.

والشمائل المحمدية هي الكتب التي تعنى بتوثيق كل ما يتعلق بشخصية النبي صلى الله عليه وسلم من النواحي المتعددة، كعلاقته بربه سبحانه وتعالى، وعبادته، كما تتعلق بعلاقته بآل بيته وأقاربه، وعلاقته بأصحابه، وبيان أخلاقه وسلوكه مع جميع من تعامل معهم، فالشمائل تقابل السير التي تعنى بالمغازي والجهاد، ذلك أن التصنيف في السيرة النبوية أخذ عدة مناح متعددة، اشتهر منها منهج المغازي والسير، ومنها منهج الشمائل والأوصاف والأخلاق والسلوكيات، أو بتعبير أدق العناية بهدي النبي صلى الله عليه وسلم في عموم حياته، فالشمائل تسلط الضوء على الجانب الاجتماعي والحضاري لرسول





الله صلى الله عليه وسلم ويمكن اعتبارها من قسم السنة الفعلية والتقريبية أكثر من قسم السنة القولية، وإن كانت الشمائيل تشمل الأنواع الثلاثة للسنة، لكنها في الجانب التطبيقي أكثر، كما يدخل فيها وصف الصحابة لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم ووصف أفعاله وسلوكه، والنقل عنه وعن مواقفه المتعددة.

1 - مصادر الشمائيل

وتتنوع مصادر الشمائيل المحمدية، فمنها ما هو خاص بالشمائيل، ومنها ما هو عام.

أ - المصادر العامة للشمائيل: هي كتب السنة بكافة أنواعها، كالصحيحين: صحيح البخاري وصحيح مسلم، وكتب السنة، مثل: سنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، وسنن الدارمي، وسنن سعيد بن منصور، وكذلك: موطأ الإمام مالك، ومسنند الإمام أحمد، ومسنند البزار، وصحيح ابن خزيمة، وصحيح ابن حبان، ومصنف ابن أبي شيبة، والأدب المفرد للبخاري، والمستدرک على الصحيحين للحاكم، والمعاجم الثلاثة للطبراني وغيرها من كتب متون السنة.

ب - المصنفات الخاصة بالشمائيل: وهي الكتب التي أفردت الشمائيل النبوية بالتصنيف، ومن أهمها:

- صفة النبي صلى الله عليه وسلم لوهب بن منبه المتوفى سنة (200هـ)، وهو أول كتاب وصلنا في الشمائيل النبوية.
- صفة أخلاق النبي للحافظ أبي الحسن علي بن محمد المدائني، المتوفى سنة (270هـ)
- الشمائيل النبوية والخصائص المصطفوية، للحافظ الإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفى سنة (279هـ).
- الشمائيل لمحمد بن المستغفري، المتوفى سنة (432هـ).
- الأخلاق النبوية لإسماعيل القاضي المالكي، المتوفى سنة (282هـ).
- شمائيل الرسول للحافظ ابن كثير، المتوفى سنة (774هـ).

على أن كتاب الشمائيل النبوية للإمام الترمذي كتب الله تعالى له الشهرة في هذا المجال، فاعتنى العلماء بشروحه واختصاره.



ج - كتب الهدي: وهناك نوع ثالث غاية في الأهمية في تصنيف السيرة النبوية، وهي الكتب التي تعنى ببيان هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وهي أوسع من الشمائل، حيث إنها جمعت جانب السير مع جانب الشمائل، بل توسعت أكثر من ذلك، ومن أشهر من كتب في هذا الإمام ابن القيم (751هـ) في كتابه: (زاد المعاد في هدي خير العباد)، والإمام الصالحى (942هـ) في موسوعته الكبرى في السيرة النبوية المسماة: (سبل الهدى والرشاد في هدي خير العباد)، وهو كتاب يمثل ثلاثة أضعاف حجم ما كتب الإمام ابن القيم، حيث وصل في بعض الطبوعات إلى خمسة عشر مجلداً.

عرض السيرة النبوية

يبقى أن غالب الدعاة الذين يعرضون السيرة النبوية وحتى الهدي والشمائل يكتفون بنقل ما هو موجود في الكتب مع شرح معاصر، إن فعلوا، على أن الزاد الأكبر هو الاستفادة من منهج النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته وهديه وشمائله بالإسقاط على الواقع، وأن تكون حياته زادا للإصلاح والتغيير إلى الأفضل، من خلال استقراء منهجه في مناحي الحياة.

إن الدور على المسلمين كبير في عرض حياة نبيهم صلى الله عليه وسلم بصورة حضارية لا تستثني جانباً من حياته، ولكنها في ذات الوقت تعرض حياته عرضاً شاملاً كاملاً، حتى يستفيد منه جميع الناس..

إن الله تعالى وصف نبيه صلى الله عليه وسلم في آية هي أعظم وصف للرسول صلى الله عليه وسلم، حيث قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ﴾ (الممتحنة: 6)، فكل الناس يجدون قدوتهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالحاكم يجد منهج الحكم في سيرته، وكذلك القاضي والمفتي والتاجر والوالد والصديق والزوج وكل الوظائف وأحوال الناس كلهم، فقد جمع الله تعالى أحوال الخلائق في شخص محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، فكان قدوة ورحمة للناس كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)..





إننا اليوم بحاجة إلى أن نقدم سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بشكل حضاري يجعل غير المسلمين يتعرفون على عظمة شخصيته، ويدركون قيمة الرسالة التي جاء بها للعالمين، ساعتها نكون قد أحببناه كما يجب أن نحبه، وعرفنا غيرنا به التعريف الذي يليق بمقامه الشريف.

المطلب الثاني: خمسة كتب معاصرة في السيرة النبوية

ما زالت السيرة النبوية تتمثل نهرًا متدفقًا للعلماء والباحثين، قديمًا وحديثًا؛ لينهلوا من معينها الصافي، ويرتووا من مائها العذب، ويتفقهوا من دروسها الحية النابضة..

ولا عجب، فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم هو سيد ولد آدم، وهو خاتم أنبياء الله ورسله، ورحمته للعالمين.. ولهذا، جاءت حياته النبوية الشريفة منهاجًا للنجاة في الدنيا والآخرة، ونموذجًا عمليًا للإسلام، وتطبيقًا حيًا للقرآن الكريم..

فهو صلى الله عليه وسلم، كما وصفته السيدة عائشة، في أبلغ وصفٍ وأوجزه: "كان خُلُقُه القرآن" (52). وهو صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة في كل أمور حياته: في عبادته، في أخلاقه، في معاملاته، في سلمه وحربه، مع أزواجه وأبنائه، مع من آمنوا به ومن آذوه.. حتى في رضاه وغضبه؛ فقد كان صلى الله عليه وسلم في رضاه وغضبه لا يقول إلا حقًا. (53)

وهذه أهم خمسة كتب معاصرة تناولت السيرة النبوية بالشرح والتحليل.. نقدمها- بإيجاز- لمن أراد أن يتعرف على السيرة العطرة، ويتزود منها في حياته الخاصة والعامة.

١ - الرحيق المختوم

من تأليف العالم الهندي الشيخ صفى الرحمن المباركفوري.. وقدم فيه السيرة النبوية، من البعثة حتى الوفاة، بجانب إعطاء نبذة عن أحوال العرب قبل الإسلام..

52- أخرجه أحمد في المسند (148/41) واللفظ له، والبخاري في الأدب المفرد (308) ورسناده صحيح.

53- أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (2280) وأبو داود في العلم (3646) وإسناده حسن.





بأسلوب سهل سلسل، يناسب الشباب والمبتدئين؛ لأنه يهتم بسرد أحداث السيرة وإعطاء صورة شاملة عنها، دون غوص كبير مع الدروس والعبر.

وقد حاز الكتاب على المركز الأول في مسابقة السيرة النبوية العالمية، التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي عام 1396هـ.

ويوضح الشيخ صفى الرحمن منهجه في كتابة البحث، بقوله: "إني قبل أن آخذ في كتابة المقالة رأيت أن أضعها في حجم متوسط، متجنباً التلويل الممل والإيجاز المخل؛ ولكني كثيراً ما رأيت في المصادر اختلافاً كبيراً في ترتيب الوقائع، أو في تفصيل جزئياتها؛ وفي مثل هذه المواقع قمت بالتحقيق البالغ، وأدرت النظر في جميع جوانب البحث. ثم أثبت في صلب المقالة ما ترجح لدي بعد التحقيق. ولكن احترزت عن إيراد الدلائل والبراهين؛ لأن ذلك يفضي إلى طول غير مطلوب. نعم، ربما أشرت إلى الدلائل حين خفت الاستغراب ممن يقرأ المقالة، أو حين رأيت عامة الكاتبين ذهبوا إلى خلاف الصحيح".

2 - فقه السيرة للبوطي

تأليف الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.. ويتناول الكتاب السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة.. ويبدأ بمقدمات عن أهمية السيرة في فهم الإسلام وكيف تطورت دراستها وكيف يجب أن نفهمها، ثم المنهج العلمي في رواية السيرة النبوية، ثم ينتقل إلى ذكر السيرة النبوية من الميلاد إلى الممات.

والكتاب يهتم بإبراز الدروس والعبر، مع بعض التعليقات والتحقيقات العلمية؛ مما يناسب الدعاة، ومن يدرسون السيرة في مراحل تعليمية.

وفي المقدمة يبين د. البوطي أنه حاول أن يجعل "الكتاب مصدراً وافياً لسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين، مع التحليل الذي يضع القارئ أمام فقه ذلك كله، ويصله بالمعاني والمبادئ التي تعدّ ثمرة هذه الدراسة، وأهم الأغراض التي ينبغي أن تقصد من ورائها.





ويضيف: "فضلت أن أسير في كتابة هذه البحوث على المنهج المدرسي القائم على استنباط القواعد والأحكام، مبتعداً عن المنهج الأدبي التحليلي المجرد؛ وإن كان لكلٍ مزيته وفائدته".

3 - فقه السيرة للغزالي

لفضيلة الشيخ محمد الغزالي.. والكتاب رحلة مائة في رحاب السيرة النبوية، بأسلوب أدبي مميز، عُرف به الشيخ الغزالي، وبعاطفة جياشة تستلهم حياة النبي صلى الله عليه وسلم القدوة.

يبين الشيخ الغزالي منهجه قائلاً: "إن حياة محمد صلى الله عليه وسلم ليست- بالنسبة للمسلم- مسألة شخص فارغ، أو دراسة ناقد محايد، كلا كلا؛ إنها مصدر الأسوة الحسنة التي يقتفيها، ومنبع الشريعة العظيمة التي يدين بها.. وقد بذلت وسعي في إعطاء القارئ صورة صادقة عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، واجتهدت في إبراز الحكم والتفاسير لما يقع من حوادث، ثم تركت للحقائق المجلوة أن تدع آثارها في النفوس دون افتعال أو احتيال..

ويضيف: "جعلت من تفاصيل السيرة موضوعاً متماسكاً يشدُّ أجزاء روح واحد، ثم وزعت النصوص والمرويات الأخرى بحيث تتسق مع وحدة الموضوع، وتعين على إتقان صورته وإكمال حقيقته. وقصدت من وراء ذلك أن تكون السيرة شيئاً ينمي الإيمان، ويزكي الخلق، ويلهب الكفاح، ويغري باعتناق الحق والوفاء له، ويضم ثروة طائلة من الأمثلة الرائعة لهذا كله".

4 - السيرة النبوية للندوي

للداعية الهندي الشيخ أبي الحسن الندوي.. وهو مجلد كبير يربو على خمسمائة صفحة. وصدرت طبعته الأولى عام 1976م. وقد مهّد الشيخ الندوي بين يدي السيرة النبوية بإطلالة فاحصة على أوضاع العالم- الروم والفرس والعرب- قبل الإسلام، ومدى ما أصابه من انحراف جعله في شديد الحاجة إلى نور الوحي الخاتم الصافي.. ثم ختم



الكتابَ ببحث موسع عن (فضل البعثة المحمدية على الإنسانية وَمَنْحَها العالمية الخالدة).

وأوضح الشيخ الندوي أهمية السيرة العطرة قائلاً: "السيرة النبوية المحمدية تتميز من بين سير أفراد البشر- وفيهم الأنبياء وغير الأنبياء- بدقتها وشمولها، واستيعابها لدقائق الحياة وتفاصيلها وملاحمها وقسماتها".

وأما عن أهم ملامح منهجه فقال: "حاولت أن يجمع الكتاب بين الجانب العلمي وبين الجانب التربوي البلاغي، لا يطنى أحدهما على الآخر، وأن يشتمل على أكبر مقدار من القطع النابضة الدافقة بالحيوية والتأثير، الآسرة للقلوب والنفوس التي لا يوجد نظيرها في سيرة إنسان ولا في تاريخ فرد أو جيل، أو دعوة أو دين، وذلك كله من غير تنميق أو تلوين، أو تحبير أو تحسين، فجمال الطبيعة والحقيقة لا يحتاج إلى تجميلات خارجية، أو تزيينات صناعية".

5 - محمد رسول الله.. منهج ورسالة، بحث وتحقيق

للشيخ محمد الصادق عرجون.. وهو موسوعة من أربعة أجزاء ضخمة.. وكتاب موسّع وبه تحقيقات غاية في الأهمية..

وقد مهد المؤلف بحديث مستفيض عن (الرسالات الإلهية والعقل الإنساني).. ثم تطرق إلى (البيئة الطبيعية والاجتماعية لحياة محمد صلى الله عليه وسلم).. ثم (أسرة محمد صلى الله عليه وسلم.. خصائصها ومكانتها في العرب).. بجانب تناوله (إخبار أهل الكتاب ومُتَحَنِّفَة العرب بمولد محمد صلى الله عليه وسلم وبعثته).

والكتاب كما يقول الشيخ عرجون "ليس حشداً لروايات أحداث السيرة النبوية، وجمعها من شتيت مؤلفاتها ودواوينها في مؤلف واحد؛ كما صنع كثير من الأعلام في جمع كتب أمهات الحديث وغيرها من كتب الفنون التي شُهرت بالجوامع؛ ولكنه فكرة دراسية للحقائق والمعاني التي تضمنتها وقائع السيرة النبوية".





ويضيف الشيخ مبيّنًا منهجه: "عوّلت على أن أدرس حياة محمد رسول الله، لا محمد العبقري، ولا محمد البطل؛ وأُسجل مما أقرأ بميزاني للروايات القائم على الموازنة بينها في صحة السند وصحة المتن؛ فأيتها رجّحت كفته في صحة السند والمتن قبلته وسجلته، وبيّنت قبوله بأمور عقلية وعقلية؛ غير أنني وجدت باب المعجزات الكونية مقفلاً على العقل، فلا يصح أن يتحكم فيه؛ لأن العقل معزول عن تجاوز حدود في سُنن الله الخاصة، وباب المعجزات من هذا القبيل بشرط أن يصحّ صحة لا يعارضها ما هو أعلى منها. وجمعت مما سجلت الكثير الطيب مستعيناً بالله الرحيم الودود".

هذا عرض موجز لأهم الكتب المعاصرة التي تناولت السيرة النبوية، شرحاً وتحليلاً؛ لعله يغري بمزيد من المطالعة والمتابعة.. حتى نكون على بينة بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وبكيفية الاقتداء به. وما أشد حاجتنا لهذه السيرة النبوية العطرة.. على صاحبها أفضل صلاة وأزكى سلام!

المطلب الثالث: لماذا النبي صلى الله عليه وسلم الأكثر تأثيراً في التاريخ؟

إن حياة النبي صلى الله عليه وسلم وما انطوت عليه من سمو وتميز ورفعة، تمثل نبزاً مضيئاً لمن يبحثون عن المثل في رفعتها، وعن القيم في صفاتها، وعن البطولة في نبُلها؛ فهو صلى الله عليه وسلم قد جعله ربه تعالى نموذجاً للإنسانية، تهتدي بهداه، وتقنّدي بخطاه.. حتى يكون الناس أمام كتابٍ منزّل يمثل "المنهج" في تجلّيه الأعلى، وأمام نبيٍّ مرسلٍ يمثل "النموذج" البشريّ الحيّ القدوة.

وقد جمع الله تعالى بين "النبي" و"القرآن"، في آية واحدة، في معرض الامتتان؛ فقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (المائدة: 15). قال الطبري: "يَعْنِي بالنور: محمداً صلى الله عليه وسلم؛ الذي أنار الله به الحق، وأظهر به الإسلام، ومحق به الشرك؛ فهو نور لمن استنار به يُبَيِّن الحق. ومن إنارته الحق، تَبَيَّنَ لليهود كثيراً مما كانوا يخفون من الكتاب". (54)

54- تفسير الطبري، 8/ 264.



فالنبي صلى الله عليه وسلم حياته ملأى بجوانب العظمة، وبمواطن العبرة والقودة. وإذا كنا نحن المسلمين ننظر إلى حياته صلى الله عليه وسلم من زاوية النبوة، ومن كونه مُبَلِّغاً رسالة الله تعالى إلى خلقه- وهذا أمر أساسي، وطبيعي في سياق الإيمان بنبوته ورسالته- فإن لغيرنا ممن لم يؤمن به صلى الله عليه وسلم أن ينظر إلى حياته الشريفة بمقياس آخر غير مقياس النبوة؛ وهو واجدٌ- حينئذٍ- من جوانب العظمة وعوامل الإبهار والاقترار، ما يدفعه إلى إجلال هذا النبي الكريم وإعظامه.

وهذا ما دفع الأمريكي "مايكل هارت"⁽⁵⁵⁾ إلى دراسة حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى أن يجعله على رأس مائة شخصية هي الأكثر تأثيراً في التاريخ.. وما جعل أيضاً العقاد يكتب كتابه (عبقريّة محمد)؛ فليس غرض العقاد أن يفصل النبوة عن حياته صلى الله عليه وسلم، وإنما أن يُبرز من هذه الحياة ما يناسب الناس جميعاً، ويخاطبهم على ما بينهم من اختلاف..

يقول العقاد رحمه الله: "عبقريّة محمد" عنوانٌ يؤدي معناه في حدوده المقصودة، ولا يتعداها؛ فليس الكتاب سيرة نبوية جديدة، تضاف إلى السيرة العربية والإفريقية التي حفلت بها "المكتبة المحمدية"؛ لأننا لم نقصد وقائع السيرة لذاتها... وليس الكتاب شرحاً للإسلام أو لبعض أحكامه، أو دفاعاً عنه، أو مجادلة لخصومه؛ فهذه أغراض مستوفاة في مواطن شتى، يكتب فيها من هم ذووها ولهم دراية بها وقدرة عليها. إن الكتاب تقدير "لعبقريّة محمد" بالمقدار الذي يدين به كل إنسان، ولا يدين به المسلم وكفى؛ وبالحق الذي يثبت له الحب في قلب كل إنسان، وليس في قلب كل مسلم وكفى. فمحمد هنا عظيم؛ لأنه قدوة المقتدين في المناقب التي يتمناها المخلصون لجميع الناس"⁽⁵⁶⁾.

55- الخالدون مائة أعظمهم محمد، مايكل هارت، ترجمة: أنيس منصور، المكتب المصري الحديث، ص: 13- 16. وما وضعته بين قوسين ("") هو المنقول من الكتاب.

56- عبقريّة محمد، العقاد، ص: 8.





وقريباً من هذا، أراد ”مايكل هارت“ أن يرصد الشخصيات الأكثر تأثيراً في التاريخ، بغضّ النظر عن موقفها الديني وقد استهـا. (57)

وقرّر هارت أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم هو الأكثر تأثيراً في التاريخ، مستنداً إلى عدة عوامل ومقاييس، تستحق أن نقف معها ونتأملها؛ لأنها تجعل من النبي صلى الله عليه وسلم قدوة ومثالاً حتى لغير المؤمن بنبوته ورسالته..

أربعة مقاييس

وأما المقاييس التي انطلق منها مايكل هارت في رصده، فهي:

1- أن النبي صلى الله عليه وسلم ”هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحاً مطلقاً على المستوى الديني والدنيوي“ :

نعم؛ فعهدنا برجال التاريخ إما أن يكونوا من ذوي الإسهام في جانب الروح زهداً وورعاً وتقوى، وإما في جانب المادة توسعاً ومُلْكاً.. وقلّما نجد من يجمع بين الأمرين، ولو بالحدود الدنيا. أما النبي صلى الله عليه وسلم فكان مثالاً في الأمرين؛ لأن حياته تجسيد لرسالته، ورسالته جامعة بين الأمرين معاً: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: 77).

2 - أن أثر محمد عليه الصلاة والسلام ”ما يزال قوياً متجدداً“ :

وهذا ملحوظ لا شك فيه، مهما عرّا المسلمين من وهن وضعف؛ فما دام كتابهم محفوظاً، فإن جذوتهم ستظل متقدة، وقوتهم ستظل قابلة للانبعاث، رغم ما يتراكم عليهم من المحن، وما تأخذ الشدائد من قوّتهم.

57- جاء في ”ويكيبيديا“ أن الاسم الأصلي للكتاب: (The 100 Most Influential Persons in History). وأن أنيس منصور ترجم العنوان ترجمة غير آمنة: فالعنوان بالإنجليزية لا يعني بتأناً (الخالدون مائة وأعظمهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم)؛ بل الترجمة الدقيقة: (المائة: ترتيب أكثر الشخصيات تأثيراً في التاريخ). وقد قال هارت في النسخة الإنجليزية: ”عليّ أن أؤكد أن هذه لائحة لأكثر الناس تأثيراً في التاريخ، وليست لائحة للعظماء. مثلاً يوجد مكان في لائحة لرجل مؤثر بدرجة كبيرة وشرير وبدون قلب مثل ستالين، ولا يوجد مكان للقديسة الأم كابريني“.





إن هذا التجدد مرتبط بما تختص به رسالة محمد صلى الله عليه وسلم من أنها الرسالة الخاتمة، فلا رسالة بعدها؛ ولهذا كانت أمته صاحبة تلك الرسالة قادرة على التجدد على الدوام، وعلى العطاء باستمرار. والتاريخ خير شاهد؛ فقد مرّت على المسلمين محن وأزمات كانت كفيلة باستئصال غيرهم، مثل محن التتار والصليبيين؛ لكن الله سلّم وأمدّهم بمدده، وحفظهم حتى استعادوا عافيتهم، وقهروا عدوهم، بل حتى دخل بعض هؤلاء الأعداء في "الدين" الذي غلبوا أهله من قبل!

3 - أنه صلى الله عليه وسلم نشأ في بيئة ليس لها سابق عهد بالحضارة والمدنية: بخلاف من أثروا في تاريخ الإنسانية، الذين "وُلدوا ونشأوا في مراكز حضارية، ومن شعوب متحضرة سياسياً وفكرياً".

أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد نشأ "في مكة جنوب شبه الجزيرة العربية في منطقة متخلفة من العالم القديم، بعيدة عن مراكز التجارة والحضارة والثقافة والفن. وقد نشأ في ظروف متواضعة وكان لا يقرأ ولا يكتب".

نعم، إن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن نتيجة تراكمات حضارية للواقع الذي نبت فيه، حتى لا يزعم زاعم أن صاحب الرسالة قد ورث الأمر عن أجداده، أو تعلّم في رحاب حضارة سابقة. فكان اختيار الله تعالى لهذه البقعة من الأرض، فيه حكمة قاطعة بأن تلك الرسالة العظيمة المعجزة ليست إلا وحيًا يوحى، وبلاغًا من الله إلى عباده: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ * بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يُجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ (العنكبوت: 48، 49).

4 - أنه صلى الله عليه وسلم استطاع أن يوحد العرب:

وكانوا من قبل قبائل متفرقة متناحرة، لم تجمعهم رابطة، ولم ينتظمهم ملك؛ وما عرفوا الوحدة إلا في ظل الإسلام، وما نعموا بالأخوة إلا بفضل: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران: 103).





فالنبي صلى الله عليه وسلم- كما يرصد هارت- ”استطاع، ولأول مرة في التاريخ، أن يوحد بينهم، وأن يملأهم بالإيمان وأن يهديهم جميعاً بالدعوة إلى الإله الواحد. ولذلك استطاعت جيوش المسلمين الصغيرة المؤمنة أن تقوم بأعظم غزوات عرفتها البشرية؛ فاتسعت الأرض تحت أقدام المسلمين من شمالي شبه الجزيرة العربية وشملت الإمبراطورية الفارسية على عهد الساسانيين، وإلى الشمال الغربي واكتسحت بيزنطة والإمبراطورية الرومانية الشرقية. وكان العرب أقل بكثير جداً من كل هذه الدول التي غزوها وانتصروا عليها“.

فهذه أربعة أسباب جعلت ”مايكل هارت“ يضع النبي صلى الله عليه وسلم على رأس قائمة الشخصيات الأكثر تأثيراً في التاريخ..

لماذا محمد قبل عيسى؟

ثم بعد ذلك يشير هارت إلى أن البعض قد تأخذ الدهشة من أنه جعل النبي محمداً على رأس القائمة، بينما جاء عيسى في الترتيب الثالث؛ رغم أن عدد المسيحيين ضعف عدد المسلمين.

ويفسر هارت ترتيبه هذا، بثلاثة أسباب، تلقي ضوءاً مهماً على طبيعة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم؛ وهي:

أ- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان دوره أخطر وأعظم في نشر الإسلام وتدعيمه وإرساء قواعده شريعته، أكثر مما كان لعيسى عليه السلام في الديانة المسيحية؛ فعلى الرغم من أن عيسى عليه السلام هو المسئول عن مبادئ الأخلاق في المسيحية، غير أن القديس بولس هو الذي أرسى أصول الشريعة المسيحية، وهو أيضاً المسئول عن كتابة الكثير مما جاء في كتب (العهد الجديد).

أما الرسول صلى الله عليه وسلم فهو المسئول الأول والأوحد عن إرساء قواعد الإسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعي والأخلاق وأصول المعاملات بين الناس في حياتهم الدينية والدنيوية؛ كما أن القرآن الكريم قد نزل عليه وحده، وفي القرآن الكريم وجد المسلمون كل ما يحتاجون إليه في دنياهم وآخرتهم .



ب- أن القرآن الكريم نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم كاملاً، وسجلت آياته وهو ما يزال حياً، وكان التسجيل في منتهى الدقة، فلم يتغير منه حرف واحد؛ وليس في المسيحية شيء مثل ذلك، فلا يوجد كتاب واحد محكم دقيق لتعاليم المسيحية يشبه القرآن الكريم، وكان أثر القرآن الكريم على الناس بالغ العمق، ولذلك كان أثر محمد صلى الله عليه وسلم على الإسلام أكثر وأعمق من الأثر الذي تركه عيسى عليه السلام على الديانة المسيحية.

ج- أن الرسول صلى الله عليه وسلم، كان رجلاً دنيوياً، على خلاف عيسى عليه السلام؛ أي لا يعتزل الدنيا، فكان زوجاً وأباً وكان يعمل في التجارة ويرعى الغنم وكان يحارب ويصاب في الحروب ويمرض .. ثم مات.

ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم قوة جبارة، فيمكن أن يقال أيضاً إنه أعظم زعيم سياسي عرفه التاريخ.⁽⁵⁸⁾

إذن، هذه هي الأسباب التي جعلت هذا الكاتب المنصف، مايكل هارت، يرى النبي صلى الله عليه وسلم على رأس قائمة الشخصيات الأكثر تأثيراً في التاريخ، حتى على السيد المسيح عليه السلام، رغم أن عدد أتباعه يفوق بكثير أتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم..

وهي أسباب تضع أيدينا على عوامل قوة كامنّة في رسالة الإسلام، وعلى ما ينبغي أن تكون عليه حياة المسلمين؛ حتى يحرزوا من التأثير مثل ما أحرز نبيهم صلى الله عليه وسلم.. وهم جديرون بهذا ما تمسكوا بكتاب ربهم وسنة نبيهم.

58- الخالدون مائة، ص: 17، 18، باختصار وتصرف يسير.



فهرس المحتويات

3

مقدمة

5

المبحث الأول: ولادة النبي ونسبه صلى الله عليه وسلم

6

المطلب الأول: أم النبي صلى الله عليه وسلم بين فقد الزوج وحادث الفيل

7

مناجاة عبد المطلب

9

المطلب الثاني: يوم ميلاد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم

11

طفولة النبي صلى الله عليه وسلم في روائع الصحراء

15

المطلب الثالث: نَسْبُ الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم

18

المطلب الرابع: أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

20

تواضع النبي صلى الله عليه وسلم

21

صبر النبي صلى الله عليه وسلم

21

رفق النبي صلى الله عليه وسلم

23

شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم

24

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم

24

جود النبي صلى الله عليه وسلم

فهرس المحتويات

- 24 زهد النبي صلى الله عليه وسلم
- 25 المطلب الخامس: الاحتفال برسالة النبي صلى الله عليه وسلم ومولده
- 25 تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي
- 26 صور الاحتفال بالمولد النبوي
- 29 احتفاء غير المسلمين بالنبي الكريم ورسالته
- 35 المبحث الثاني: خصائص بعثة النبي صلى الله عليه وسلم
- 36 المطلب الأول: بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وطليلة الوحي الإلهي
- 43 المطلب الثالث: الإسراء والمعراج .. مقدمات ومقاصد
- 44 أولاً: المقصد الأعلى من وراء رحلة الإسراء والمعراج
- 47 ثانياً: المقاصد التبعية من حادثة الإسراء والمعراج
- 52 الإسراء والمعراج .. اجتهادات فقهية
- 55 المطلب الرابع: هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة
- 55 حين أضاء كل شيء
- 57 مظاهر النصر في الهجرة النبوية

فهرس المحتويات

- 60 المطلب الخامس: تأسيس المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة
- 64 المطلب السادس: وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم
- 64 حين أظلم كل شيء
- 69 المبحث الثالث: مصادر التعريف بحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
- 70 المطلب الأول: مصنفات ومناهج للتعريف بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم
- 73 المطلب الثاني: خمسة كتب معاصرة في السيرة النبوية
- 77 المطلب الثالث: لماذا النبي صلى الله عليه وسلم الأكثر تأثيراً في التاريخ؟
- 83 فهرس المحتويات





جمعية البلاغ الثقافية

Al-Balagh Cultural Association



IslamOnline.net

إسلام أون لاين.نت



/ISLAMONLINE



/ISLAMONLINE_NET



@ISLAMONLINE



/ISLAMONLINE



islamonline.net/apps



لأي إستفسار

500 44 304



T : +974 44 56 7777 F : +974 445 67766 P.O.Box : 22212 Doha-Qatar
Email : info@islamonline.net Web : balaghcs.org





جَمْعِيَّةُ الْبَلَاغِ السَّعَاوِيَّةِ

Al-Balagh Cultural Association